سوريون من أجل الحقيقة والعدالة
Syrians For Truth & Justice

آذار/مارس 2019

سوريا: جروح محفورة في الذاكرة

تقرير خاص يسرد أحداث مدينة القامشلي/قامشلو عام 2004 بلسان شهود وضحايا سابقين

سوريا: جروح محفورة في الذاكرة

تقرير خاص يسرد أحداث مدينة القامشلي/قامشلو عام *2004* بلسان شهود وضحايا سابقين

خلفية:

شكّلت أحداث مدينة القامشلي/قامشلو في شهر آذار/مارس 2004، نقطة تحول كبرى في العلاقة ما بين الكرد السوريين والسلطات السورية، فلطالما عانى الكرد السوريون من التهميش والتمييز والإقصاء على يد الحكومات المتعاقبة إلى الحكم في سوريا. وكانت تلك هي المرة الأولى التي يتمّ فيها تنظيم مثل هذه المظاهرات الواسعة في البلاد من قبل الكرد. ولقد أزعجت درجة وعِظم هذا التحرك السلطات السورية، التي ردّت بالعنف المفرط لقمع الاحتجاجات. وفي التعداد الأخير للخسائر، تبين مقتل ما لا يقل عن 36 شخصاً، وأغلبهم من الكرد، وإصابة أكثر من 160 آخرين. وقد احتجزت أجهزة الأمن أكثر من ألفي كردي (الكثير منهم تمّ العفو عنهم فيما بعد)، مع انتشار تقارير عن التعذيب والمعاملة السيئة بحق المحتجزين.[1]

بدأت "أحداث مدينة القامشلي/قامشلو في محافظة الحسكة" تحديداً في يوم الجمعة 12 آذار/مارس عام 2004، أثناء صدامات مباشرة بالحجارة والأسلحة البيضاء ما بين مشجّعي فريق "الفتوة" القادمين من محافظة دير الزور، ومشجّعي فريق "الجهاد" المحلّي، أثناء مباراة لكرة القدم في الدوري السوري، وأدى ذلك إلى تدخل قوات الشرطة والأجهزة الأمنية السّورية والتي فتحت الرصاص الحي على الغاضبين وخاصة من الكرد، وقُتل على إثر ذلك ما لا يقل عن ستة أشخاص. تحولّت فيما بعد، وفي اليوم التالي، وتحديداً بتاريخ 13 آذار/مارس 2004 إلى مظاهرات غاضبة وعارمة في العديد من المدن والمناطق التي كان يقطنها الكرد في عموم سوريا وخاصة في القامشلي/قامشلو وعامودا والدرباسية ورأس العين/سري كانييه وكوباني/عين العرب وعفرين والأحياء الكردية في مدينة حلب (الأشرفية والشيخ مقصود) والأحياء الكردية في مدينة دمشق (وادي المشاريع/إضافة إلى المدينة الجامعية) والقحطانية/تربي سبي والمالية/ديريك وغيرها؛ وتمّ تسميتها فيما بعد بـ "أحدث القامشلي" أو "انتفاضة قامشلو"، حيث سقط قتلى آخرون وعشرات الجرحى ومئات المعتقلين خلال تلك الأيام.

زاد الأمر خطورة استسهال بعض أطراف السلطة إطلاق الرصاص في غير مكان على حشود المواطنين العزل، تبعه اعتقالات عشوائية طالت المئات من الشبان الأكراد، وحصار ظل مستمراً لشهور عديدة -وإن بصورة أقل حدة مقارنة مع الأيام الأولى للأحداث- حول بعض الأحياء والبلدات التي تضم أغلبية كردية. وما زاد الطين بلة الأخبار التي جرى تناقلها عن تسليح القرى والعشائر العربية المتاخمة للقرى الكردية لإطلاق دورها قمعاً وإرهاباً.[2]

وبعكس الأخبار التي وردت في البداية عن ثلاث حالات وفاة لأطفال توفوا دهساً[3] بعد الصدامات المباشرة في الملعب، فقد تبيّن لاحقاً أنّ الخبر كان عارياً عن الصحة، رغم وقوع حالات إطلاق نار على المحتجين في يوم المباراة نفسه أو في الأيام الأخرى التي تلتها.

---

[1] " إنكار الوجود: قمع الحقوق السياسية والثقافية للأكراد في سوريا"، هيومان رايتس ووتش. 26 تشرين الثاني/نوفمبر 2009. (آخر زيارة: 3 آذار/مارس 2019). https://www.hrw.org/ar/report/2009/11/26/256004.

[2] أكرم البنّي، "سوريا.. أحداث القامشلي وضرورات الحل السياسي"، موقع الجزيرة النت/المعرفة: مقالات رأي (وجهات نظر). (آخر زيارة: 3 آذار/مارس 2019).
https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/10/3/%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D8%A3%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%85%D8%B4%D9%84%D9%8A-%D9%88%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A.

[3] في تقرير لها أعدته جمعية حقوق الإنسان في سورية، تمّ نشره في شهر آذار/مارس 2004، أكدّ التقرير أنّ خبر مقتل ثلاث أطفال أدى إلى زيادة التوتر والهيجان بين الأهالي رغم عدم التأكد من الحادثة حتى بعد الانتهاء من إصدار ونشر التقارير. للمزيد: " تقرير عن أحداث القامشلي

اختلفت التحليلات حول الأسباب البعيدة لتلك الأحداث، ولكن أشارت العديد من التحليلات آنذاك إلى ارتباطها بشكل وثيق -في أحد أوجهها- بالحرب التي كانت دائرة في الدولة الجارة "العراق"، حيث أفضت الإطاحة بنظام صدّام حسين في العراق في شهر نيسان/أبريل 2003، إلى تنامي إحساس العشائر والقوى السياسية العربية في محافظة دير الزور بالنقمة الشديدة من سياسات الأحزاب الكردية في العراق ويبدو أنّه انعكس سخطاً على الكرد في سوريا والذين يقطن جزء كبير منهم في محافظة الحسكة وتحديداً مدينة القامشلي.[4]

تباينت الإحصائيات ما بين المصادرة الكردية والمصادر الرسمية، حول أعداد القتلى والمعتقلين، ففي حين قالت المصادر الكردية أنّ عدد القتلى الكرد بلغ حوالي 40 شخصاً، قالت المصادر السوريّة الرسمية أنّ العدد بلغ حوالي 25 شخصاً.[5]

أمّا بالنسبة للمعتقلين، فقد تزامنت أحداث القامشلي مع حملة واسعة من الاعتقالات التعسفية التي طالت المئات من الشبّان الكرد السوريين، ومن بينهم أطفال، قبل أنّ يتمّ إطلاق سراح المئات على دفعات بعد اعتقالهم لفترات مختلفة.[6] لاحقاً، وبتاريخ 30 آذار/مارس 2005، أذاعت وكالة الأنباء السوريّة الرسمية "سانا"، خبر صدور عفو رئاسي عن "جميع الموقوفين" الأكراد الذين اعتقلوا على خلفية أحداث القامشلي عام 2004، موضّحة أنّ عددهم بلغ 312 سجيناً.[7]

عدا عن عمليات الاعتقال العشوائية التي طالت العشرات من الطلاب الكرد في جامعة دمشق، فقد تمّ فصل العديد منهم من الجامعات السّورية بشكل نهائي، ففي تاريخ 18 آذار/مارس 2004، صدرت قرارات من "لجنة تحقيق" مشكّلة من قبل جامعة دمشق، مستندة إلى المادة 134 من اللائحة التنفيذية لقانون تنظيم الجامعات، في فصل الطلاب الكرد بشكل نهائي من الجامعات، الذين بلغ عددهم 21 طالباً وطالبة إضافة إلى العديد من حالات الفصل النهائية من المدينة الجامعية في دمشق.[8]

وتداعياتها في بعض المدن السورية/أعدته جمعية حقوق الإنسان في سورية"، تمّ نشره في شهر آذار/مارس 2004. وقد تمّ نشر الخبر خلال البرنامج الإذاعي "ملاعبنا الخضراء".

[4] أكرم البنّي، "سوريا.. أحداث القامشلي وضرورات الحل السياسي"، موقع الجزيرة النت/المعرفة: مقالات رأي (وجهات نظر). (آخر زيارة: 3 آذار/مارس 2019).
https://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/10/3/%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D8%A3%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%85%D8%B4%D9%84%D9%8A-%D9%88%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A.

[5] انظر مثلاً: " أنباء عن صدور العفو عن جميع الأكراد الموقوفين أثر أحداث القامشلي"، الأربعاء 30 آذار/مارس 2005، موقع حكومة إقليم كردستان نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية "أ ف ب". (آخر زيارة: 3 آذار/مارس 2019).
http://www.gov.krd/a/d.aspx?a=2039&l=14&r=83&s=010000.

[6] بحسب تصريح لسكرتير الحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا/جناح عزيز داوي؛ عزيز داود، فقد قامت السلطات السورية بتاريخ 26 أيار/مايو 2004، بإطلاق سراح 25 كردياً من سجون مكافحة الشغب في دمشق، سبقه الإفراج عن 27 طفلاً قاصراً في يوم الاثنين المصادف 24 أيار/مايو 2004. للمزيد انظر: "إطلاق سراح 25 كرديا سوريا على خلفية احداث القامشلي"، موقع البوابة. 26 أيار/مايو 2004. (آخر زيارة: 3 آذار/مارس 2019).
https://www.albawaba.com/ar/%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1/%D8%A7%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82-%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%AD-25-%D9%83%D8%B1%D8%AF%D9%8A%D8%A7-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%AE%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%85%D8%B4%D9%84%D9%8A.

[7] المصدر السابق نفسه.

[8] تقرير خاص حول أحداث القامشلي، أعدّته جمعية حقوق الإنسان في سوريا تحت عنوان " تقرير عن أحداث القامشلي وتداعياتها في بعض المدن السورية"، تمّ نشره خلال شهر آذار/مارس 2004.

تسعى منظمة "سوريون من أجل الحقيقة والعدالة" من خلال هذا التقرير إلى توثيق وسرد حيثيات أحداث مدينة القامشلي/قامشلو عام 2004 من جهة، وتسليط الضوء على معاناة العديد من ضحايا هذه الأحداث من جهة أخرى، سواء أولئك الذين تعرّضوا للإصابة خلال هذه الأحداث، فضلاً عن أولئك الذين احتجزوا لفترات مختلفة من قبل الأجهزة الأمنية السورية.

اعتمد التقرير في منهجيته على (13) شهادة ومقابلة بالمجمل، منها (6) مقابلات تمّ إجراؤها بشكل مباشر مع شهود عيان من قبل باحثي المنظمة الميدانيين، إضافة إلى (7) مقابلات تمّ إجراؤها عبر الانترنت مع شهود آخرين، وقد توزعت الشهادات والمقابلات على عدد من المناطق الجغرافية التي يقطنها الشهود، ابتداءً من مدينة القامشلي/قامشلو ومروراً بالدرباسية ورأس العين/سري كانييه والحسكة. إضافة إلى ذلك تمّ الرجوع إلى العديد من التقارير والاقتباس من العديد من المصادر الأخرى والتي قامت بعملية توثيق لتلك الأحداث.

I. أحداث القامشلي بعيون سكّان محليين وشهود عيان:

تسبّبت أحداث القامشلي عام 2004، في سقوط العديد من الضحايا الكرد السوريين ما بين قتلى وجرحى، بحسب ما أفاد به العديد من شهود العيان الذين قابلتهم سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، فرغم مرور 15 عاماً، إلا أنّ العديد منهم مازالوا يعانون حتى يومنا هذا من تبعات إصاباتهم النفسية والجسدية.

1. هل سيعطيك مسعود برزاني قدمه لو أنك فقدت قدمك؟:

"خوشيار رمضان حسين" من مواليد منطقة تربسبيه/القحطانية في محافظة الحسكة عام 1984، وكان قد تعرّض للإصابة بطلق ناري خلال الأحداث التي اندلعت في مدينة القامشلي/قامشلو عام 2004، مما تسبّب له بضرر مستمر سيلازمه طوال حياته، حيث استرجع لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة[9] مجريات ما حدث قائلاً:

"بتاريخ 12 آذار/مارس 2004، كنت قد قدمت في إجازة من خدمتي العسكرية، حيث علمت بأنّ هنالك اقتتالاً قد حصل في ملعب القامشلي، وكنت متحمساً للذهاب، لكنّ والدي لم يسمح بذلك، وفي صباح اليوم التالي، علمنا بأنّ مظاهرة كبيرة خرجت لتشييع جنازات القتلى الذين سقطوا في مدينة القامشلي بسبب ما حدث في الملعب، وعلى الفور توجهت وقمت بالانضمام إلى تلك المظاهرة، حيث كنا على مقربة من صوامع الحبوب في المدينة، وأذكر أنّ الحافلات توقفت عن إكمال سيرها بسبب صوت الرصاص ومنها ما كان يرجع، فترجّلت من الحافلة أنا ومن كان معي، وأكملنا سيراً على الأقدام، حيث انضممنا إلى المظاهرة ومشينا معها حتى وصلنا مع الجنازات إلى مبنى الجمارك، وبالقرب من مؤسسة العلف، وأذكر أنه في كل مركز حكومي كان يتواجد مسلّحون وكانوا يطلقون الرصاص، لكننا كنا جميعاً في تلك المظاهرة متحمسّين ودماؤنا فائرة، فكنا نقوم بإسقاط الصور والأعلام التابعة للنظام، ومشينا مع الجنازات حتى وصلنا إلى صوامع الحبوب، حيث بدأ عناصر الأمن بإطلاق الرصاص في الهواء، ووفقا لما شاهدته فلم يتعرض أحد للإصابة أمام الصوامع، ولكن وبعد مضي قليل من الوقت، دخل المتظاهرون إلى الصوامع من جهة الشمال، وبعد مضي نحو نصف ساعة تقريباً، سمعنا صوت الرصاص من خلفنا، فنظر الشبان إلى خلفهم ليجدوا أنّ هنالك سيارة عسكرية قد دخلت من خلفنا إلى مرآب رميلان/مؤسسة حكومية، وبدأت

[9] تمّ لقاؤه من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة عبر الانترنت وذلك بتاريخ 26 شباط/فبراير 2019.

بإطلاق الرصاص على المتظاهرين، فقمنا نحن الشباب بمهاجمة ذلك المرآب، فوقع أحد العساكر على الأرض، وعندما قمنا بمهاجمته اجتمع العساكر علينا، وقاموا بإطلاق الرصاص علينا."

تسبّب إطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين، بسقوط العديد من الجرحى، وكان من بينهم فتاة سقطت على الأرض، فعمد "خوشيار" إلى سحبها ثمّ وضعها في أحد المنازل، دون أن يكون في حسبانه أنه قد يتعرض للإصابة هو الآخر، فتم إسعافه إثر ذلك إلى مشفى الرحمة في مدينة القامشلي/قامشلو، لكن وبسبب ازدحام المشفى، تمّ نقله إلى مشفى "نافذ"، حيث أخبره الأطباء هناك بأنّ الرصاصة أصابت "المفصل الحرقفي"، وكانت قد دخلت جوف البطن، كما أصابت القولون والمثانة، وحول ذلك تابع "خوشيار" قائلاً:

"بقيت نحو عشرين يوماً في مشفى نافذ، وعشرين يوماً آخراً في المشفى الوطني، وبالنسبة للآخرين الذين كانوا يعانون من جروح عادية، فكان يتم إسعافهم إلى المنازل، أمّا أنا فقد تمّ إسعافي مع أربعة أو خمسة جرحى آخرين، إلى مشفى الرحمة والذي كان ممتلئاً حينها، وعندما وجدوا أنّ وضعي خطيراً نوعاً ما، قاموا بأخذي إلى مشفى نافذ، وأذكر أنني لم أفقد وعيي في غرفة العمليات، حيث كان أحد أعمامي ضمن طاقم التخدير. وبعدها بيومين تمّ إعلام قطعتي العسكرية بوضعي، وفي المشفى تمّ وضع حارسين أمام باب غرفتي، ولم يكن يسمح لأيّ من المنظمات الحقوقية بدخول غرفتي، ولا حتى لأيّ شخص آخر من دون إذنهم، على اعتبار أنني كنت في فترة الخدمة العسكرية."

مكث "خوشيار" لمدة 20 يوماً في مشفى "نافذ" بمدينة القامشلي/قامشلو، ثمّ تمّ تحويله إلى المشفى الوطني، لكن وقبل أن يصل إلى المشفى الوطني، تمّ اقتياده إلى أحد الأفرع الأمنية، رغم أنّ الأطباء أكدوا للعناصر بأنّ الحالة الصحية لـ "خوشيار" لا تسمح بذلك، حيث تمّ سؤاله في ذلك الفرع، عدّة أسئلة لم يعد يذكرها، ومن ثمّ تمّ نقله إلى المشفى الوطني، وتابع في هذا الصدد قائلاً:

"بقيت في المشفى الوطني مدة 20 يوماً، تمّ استجوابي خلالها من قبل الأجهزة الأمنية السورية، حيث كانوا يسألونني عمّا حدث معي، وفي الحقيقة لم أخبرهم بحقيقة ما حدث معي، والشيء الجيد في الأمر أنّ يوم الحادثة كان يصادف آخر يوم في إجازتي التي مُنحت إياها من الخدمة العسكرية الإلزامية، فقلت لهم بأني كنت متوجهاً لقطع تذكرة قطار لي حتى أعود إلى قطعتي العسكرية، لأنّ حركة الحافلات كانت قد توقفت حينها، فاتّهموني بالكذب حينها، إلا أنني قلت لهم: إذاً اكتبوا تقريركم على هواكم وكما تشاؤون"، وبالفعل كتبوا تقريرهم، وبعد مدة قدرها 20 يوماً، قاموا بتحويلي إلى سجن دير الزور العسكري، وكنت حينها أمشي بعكازة ولم أكن أستطيع السير جيداً على قدمي، فالرصاصة كانت قد أصابت القولون والمثانة والحالب والمفصل الحرقفي، وبقيت في سجن دير الزور العسكري لمدة يومين، ثمّ أخذوني بالزيّ العسكري إلى مدينة حلب، حيث بقينا هنالك ليلة، ثمّ أمضيت ليلة أخرى في سجن "البالونة" في حمص، وبعدها أخذوني إلى الشرطة العسكرية في حي القابون بمدينة دمشق، وبعدها عاودوا نقلي إلى سجن مشفى تشرين، ليس داخل المشفى نفسه، وإنّما كان هنالك سجن تابع للمشفى يحوي مرضى، ثم قاموا بنقلي مرة أخرى إلى مدينة درعا ومنها إلى بلدة الصنمين، وبعد كل هذه التنقلات تعرّض مفصلي لأذى كبير، وكان معي جريح آخر (لن أذكر اسمه) وأذكر أنه من شدّة الإصابة التي تعرّض لها، كان قولونه/أحشاؤه ظاهرة في الخارج وكان خروجه أي تبرزه يتم في كيس، حيث قال له الأطباء أنّ القولون يجب أن يبقى مدة شهر إلى شهرين في الخارج حتى يتحسن القولون ثم يعاد إلى مكانه."

وصل "خوشيار" برفقة المصاب الآخر إلى سجن دير الزور العسكري، حيث طلب العناصر منه نزع ملابسه حتى يتجهزوا للضرب، فقام صديقه المصاب بإظهار أحشائه للعناصر آملاً أن يمرّا دون عقاب، إذ سبق لهما أن تعرضا للضرب طيلة تنقلهما من سجن إلى آخر، كما أصابهما القمل في سجن البالونة في حمص، وعندما وصل "خوشيار" إلى قطعته العسكرية في محافظة درعا، كان وضعه الصحي قد ازداد سوءً يوماً بعد يوم، ولم يمنحه قائد الفوج العسكري الإذن بالتحويل إلى المشفى، رغم أنه كان عاجزاً عن تناول الطعام كما كانت العمليات التي أجريت له في مدينة القامشلي/قامشلو، قد تضرّرت خلال فترة تنقله بين الأفرع الأمنية، وتابع "خوشيار" قائلاً في هذا الصدد:

"كنت لا أزال في غرفة العمليات، عندما قاموا بنقلي من المشفى الوطني، وأذكر أنهم عندما قاموا بنقلي إلى سجن دير الزور، اعترض والدي وعمد إلى الشجار معهم، حيث طلب منهم أن يتم نقلي بسيارة إسعاف إلى دير الزور، وأن يكون هنالك دوريتان لمرافقتي، وأخبرهم بأنه سيتكفّل بكامل نفقات ومصاريف هاتين الدوريتين من طعام ووقود وغير ذلك، ولكنهم لم يوافقوا على ذلك، فتطاول أحدهم على والدي، وقال له: "نحن سنأخذ ابنك من هنا إلى المشفى العسكري بدير الزور، ومن هناك سنأخذه بسيارة إسعاف إلى حلب"، ولكن للأسف الشديد أياً من ذلك لم يحدث، حيث كان يتم نقلي بالسيارات العسكرية، مع المسجونين والفارين والمتهمين بارتكاب الجرائم، أما الأمر الآخر الذي أذكره بهذا الصدد، هو أنني كنت بحاجة ماسّة إلى نقل الدم في المشفى الوطني، فقدم اثنان من أصدقائي، وتبرع أحدهما لي بدمه، لكن ولدى خروجهما من باب المشفى تمّ إلقاء القبض عليهما من قبل الأجهزة الأمنية السورية، حيث مكثا في السجن حوالي الشهر تقريباً، كما أذكر أنني عندما تعرّضت للإصابة، رأتني اثنتان من خلالي وأنا أسقط أرضاً، لذا قدمتا للبحث عني في المشافي، واعتقدتا أنه وعلى اعتباري عسكرياً فلابدّ أنه تمّ أخذي إلى المشفى الوطني، فتوجهتا إلى هناك ولكنهما مُنعتا من الدخول من قبل العساكر، وقيل لهما أنه لا جرحى في المشفى، ووجّه العساكر فوهات أسلحتهم باتجاههما، وقالوا لهما: "إذا لم تذهبا من هنا سنطلق الرصاص عليكما"، إلا أنهما بقيتا حتى خرج أحد الأطباء وأخبرهما بأنّ المشفى تمّ تفريغه وتجهيزه فقط لاستقبال حالات الجرحى من العساكر فقط."

بعد طول انتظار، وافق قائد الفوج العسكري على تحويل "خوشيار" إلى مشفى المزة العسكري في مدينة دمشق، حيث كان الأطباء يماطلون فيما يخص التعامل مع حالته الصحية، علماً أنها كانت تتجه إلى التدهور، كما كانت كليته اليسرى على وشك التوقف، فتمّ نقله على إثر ذلك إلى مشفى حرستا العسكري، حيث عاينه أحد الأطباء، وكان جيداً على حد وصف "خوشيار"، فقد اهتمّ بحالته الصحية، وقام بتسجيل كامل معلوماته الصحية، وأشار إلى المعاملة السيئة التي تعرّض لها في مشفى المزة العسكري، فعمد الطبيب إلى التواصل مع اللجنة الطبية في قطعته العسكرية، وأخبرهم بأنّ "خوشيار" يعاني من حالة صحية خاصة، وبأنه كان قد تعرّض للتعذيب خلال فترة تنقله بين السجون، كما أخبرهم بأنه بقي عشرة أيام وهو يتنقل بين منطقة القدم حيث يقيم أحد أخواله، وبين مشفى المزة العسكري، ففي كل صباح كان يأتي إلى المشفى فيخرجون له بمئات الطلبات والعراقيل، وفي النهاية لا يقبلون إيواءه في تلك المشفى، وتابع "خوشيار" قائلاً:

"أذكر بأنّ قائد الفوج العسكري لم يوافق على تحويلي إلى مشفى المزة العسكري، إلا بعد أن جاء والدي ووالدتي إلى القطعة العسكرية وقاما بترجّي العميد، وفي مشفى حرستا العسكري بقيت مدة طويلة وصلت إلى قرابة الثمانية أشهر، وبعدها قامت اللجنة الطبية بتقديم طلب لتسريحي، وقالت بأنّني لم أعد قادراً على الخدمة العسكرية أي أنني أصبحت معاقاً تقريباً، ولكنّ المسؤول عن قطعتي العسكرية لم يوافق على تسريحي، وأذكر بأنه كان يتم طلبي للتحقيق، كل 15 و20 يوماً وبقيت على هذا الحال لمدة عام كامل، وكانت هذه التحقيقات تتم أغلب

الأحيان في مركز عسكري يقع بالقرب من منطقة جسر الرئيس في مدينة دمشق، ناهيك عن العديد من المضايقات والإزعاجات التي تعرّضت لها من قبل العناصر والضباط في قطعتي العسكرية، ففي إحدى المرات ذهبت من أجل طلب إجازة، فكان هنالك حوالي 5 ضباط مجتمعين وقالوا لي: "يا عسكري ماذا فهمت من حالتك هذه، هل سيعطيك مسعود برزاني أو عبدالله أوجلان قدمه إذا فقدت أنت قدمك."، وأذكر أنني رددت عليهم متسائلاً: "ما علاقة عبدالله أوجلان أو مسعود برزاني بهذه القصة"، وحينها قاموا بتوجيه الشتائم لي وقالوا: اذهب في طريقك قبل أن نزعجك أكثر من ذلك"، واستمرّت التحقيقات معي، حتى جاء تسريحي الإجباري، لكنهم لم يقوموا بتسريحي إلا بعد شهرين من تسريح رفاقي الذين كانوا معي."

أشار "خوشيار" إلى أنّه عانى الأمرّين طوال فترة التحقيق معه، وخاصةً أنّ حالته الصحية لم تكن جيدة، وكان يقف على قدم واحدة ويتكأ على عكازة، بينما كان المحققون يتهمونه بإحراق الدوائر الحكومية، مع سؤاله بشكل متكرر فيما إذا كان منتمياً لحزب ما، ومن هم أصدقاؤه، وأضاف حول هذا قائلاً:

"كان يجب أن تكون مدّة خدمتي العسكرية عامين وشهر، ولكنني أمضيت عامين وثلاثة أشهر، حتى انتهى التحقيق معي، وأذكر بأنني عندما ذهبت مع رفاقي لأستلم ورقة تسريحي، لم أجد اسمي بين المسرّحين من الخدمة العسكرية، وكنت أفكر حينها بالهرب، لكنّ عائلتي لم تسمح لي بذلك، فقد كنت متخوفاً من أن يحتفظوا بي عندهم، أو يلصقوا بي تهماً أو جرماً كجريمة قتل أحد العساكر أثناء الأحداث، كما أنّ وضعي الصحي لم يكن مستقرا أيضاً، وحتى مفصلي الحرقفي كان بحاجة إلى عملية، لكنّ الأطباء كانوا يقولون لي بألا حاجة للعملية طالما أنني أستطيع السير على قدم واحدة."

لا زال "خوشيار" يعاني حتى يومنا هذا من تبعات إصابته، فقد أصبح عاجزاً عن السير لمسافة طويلة ولم يعد بوسعه حمل الأوزان الثقيلة، ورغم الموافقة على تسريحه من الخدمة العسكرية، إلا أنّ التحقيق استمرّ معه من قبل أحد الفروع الأمنية، وتابع "خوشيار" في هذا الخصوص قائلاً:

"في العام 2008، حسمت أمري وقررت الرحيل عن سوريا بسبب حالتي الصحية أولاً وكذلك الوضع الأمني، فلم يعد لديّ أمل بأن يتحسّن الوضع الكردي في البلاد. وما أودّ ذكره، هو أنّ التحقيقات التي جرت معي كانت صعبة للغاية، ناهيك عن العديد من المضايقات التي تعرّضت لها عائلتي، كلما أرادت زيارتي في المشفى الوطني، كما أذكر أنّ أحد الحقوقيين العرب الذين جاؤوا لزيارتي، اضطرّ إلى التخفي بزيّ الممرضين والأطباء حتى يتمكن من دخول المشفى."

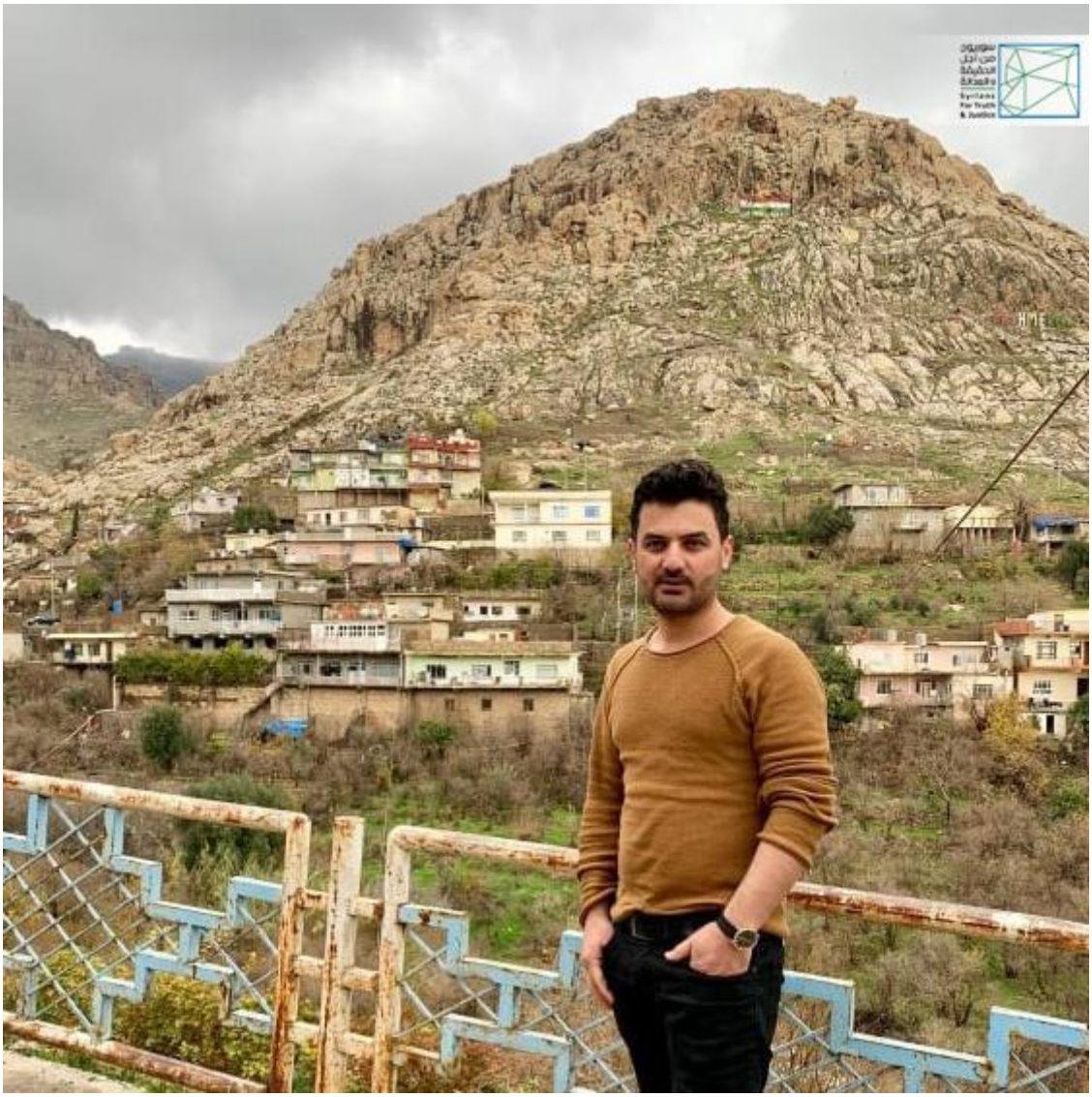

الشاهد "خوشيار رمضان حسين"، مصدر الصورة: الشاهد نفسه.

2. "كان هنالك شاب انشطر وجهه إلى قسمين بفعل الرصاصة":

"حسين سلوم" شاهد آخر كان قد تعرّض للإصابة خلال أحداث الملعب التي جرت في مدينة القامشلي/قامشلو عام 2004، وهو من مواليد مدينة القامشلي/قامشلو عام 1987، كما أنه أحد الكرد السوريين المحرومين من الجنسية بموجب الإحصاء الاستثنائي الذي أجرته الحكومة السورية عام 1962[10]، وتحديداً من فئة الأجانب، حيث ما زالت إحدى الطلقات النارية التي تلّقاها من قبل عناصر الأمن السوري، مستقرّة في جسده حتى يومنا هذا، إذ استرجع لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة[11] ما حدث قائلاً:

[10] كانت سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، قد أصدرت تقريراً موسعاً بعنوان "المواطنة السورية المفقودة، كيف دمر إحصاء 1962 حياة الكرد السوريين وهويتهم"، في 15 أيلول/سبتمبر 2018. (آخر زيارة بتاريخ 12 آذار/مارس 2019). https://www.stj-sy.com/ar/view/745.

[11] تمّ لقاؤه بشكل مباشر من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، وذلك بتاريخ 8 شباط/فبراير 2019.

"كنت متواجداً في المنزل، عندما سمعت بأنّ اقتتالاً كان قد حصل ما بين المشجعين الكرد وأولئك القادمين من دير الزور، وبأنّ الحكومة كانت قد ساندت مشجّعي فريق الفتوة في الهجوم على الكرد، وأنّ هنالك أطفالاً سقطوا قتلى بسبب التدافع، وكما أنّ هناك آخرين أصيبوا بجروح، وفي ذلك اليوم، شاهدت أعداداً غفيرة من الناس وهي تخرج إلى الشوارع من منطقة العنترية، حيث قالوا أنّ واحداً أو اثنين من الأطفال الذين قتلوا في الملعب هم من منطقة العنترية، حيث خرج أهالي الأطفال الضحايا وانضمّ إليهم أهالي الحي، وقمت بالمقابل بالانضمام إلى هذه الجموع، وفي ذلك الحي كانت هنالك لافتات لحزب البعث العربي وصور للرئيس السابق "حافظ الأسد"، وأذكر أننا قمنا بتكسيرها وتمزيقها، ثمّ توجهنا بعدها إلى صوامع الحبوب، حيث كان يتواجد هناك عدد من أفراد الشرطة، فقام الناس برشقهم بالحجارة، إلا أنهم ردّوا عليهم بالرصاص، وعلى الفور قمنا بالابتعاد عن مصدر الرصاص، ثمّ توجهنا إلى محطة القطارات، وكانت جموع الناس مستاءة، فقام بعض الشبان بالدخول إلى المحطة، حيث أخرجوا سيارة عسكرية، قالوا أنها لمدير المحطة فقمنا بتكسيرها، كذلك قمنا بتمزيق صور الرئيس وأعلام وشعارات حزب البعث والدولة، كما كانت هنالك بعض أجهزة الكومبيوتر أيضاً قمنا بتكسيرها أيضاً، ثمّ قمنا بالتوجه إلى أقرب مخفر في حي العنترية، ودخلنا المخفر ولم يكن أي عنصر بداخله، وكانت ملابس الشرطة معلّقة، ويبدو أنّ عناصر الشرطة قد ارتدوا لباساً مدنياً وخرجوا من المخفر، فقمنا بإحراق المخفر وخرجنا بعدها إلى الشارع العام، ومنه توجهنا إلى سوق المدينة."

وصل "حسين" مع جموع الناس المتظاهرين إلى مؤسسة العلف في مدينة القامشلي/قامشلو، ومرآب "رميلان"/مؤسسة حكومية، وفوجئوا عندما لم يجدوا أي عناصر بداخلها، فعمدت هذه الجموع إلى تكسير السيارات في المرآب، كما قاموا بإضرام النار في مؤسسة العلف، ومن ثمّ عاد الناس إلى منازلهم، واستحضر "حسين" ما حدث قائلاً:

"في اليوم التالي وتحديداً بتاريخ 13 آذار/مارس 2004، كنت قد استيقظت ووجدت المدينة وكأنها في يوم القيامة، فقد كان معظم الناس في الشوارع، ولم يبقَ أحد في بيته إلا بعض أولئك الموالين للحكومة السورية، فالجميع خرج إلى الشارع العام باتجاه السوق مجدداً وكنت بصحبتهم، وفي طريقنا قمنا بإضرام النار في مؤسسة العلف، وأكملنا طريقنا باتجاه السوق، حيث تجاوزنا مبنى الجمارك، وعلى مقربة من إحدى الكازيات هناك، ظهرت من إحدى الشوارع الفرعية، سيارة يستقلّها عناصر بلباس عسكري، ويحملون روسيات، وعندما لمحنا هذه السيارة قمنا برشقها بالحجارة، فقامت بالاحتماء بإحدى الجدران، فقمنا برشقها مجدداً بالحجارة، فردّوا علينا بالرصاص الحي، وكان هنالك شاب قريب مني تلّقى رصاصة في وجهه، وانشطر وجهه إلى قسمين بفعل الرصاصة، حيث تشكّلت حفرة في وجهه، وعلى الفور قمنا بالفرار، وكان باب أحد المنازل مفتوحاً فطلب منا صاحب المنزل الدخول للاحتماء، فدخلنا وكان صاحب المنزل عربياً، وفوجئنا عندما رأينا المنزل وهو يغصّ بالناس الهاربين من الأمن، وأراد صاحب المنزل أن يقدّم إليّ بعضاً من الشاي، لكنّ صديقي أخبرني بأنّ علينا أن نخرج لأنّ العسكر قد ذهبوا من المنطقة، فخرجنا لنجد أنّ الشاب الذي تلّقى رصاصة في وجهه، سقط أرضاً بعد ثلاث خطوات، فذهبنا لنجدته حيث أدخلناه إلى أحد المنازل ولا أعلم ما حصل له بعدها."

عاد "حسين" أدراجه باتجاه مبنى الجمارك في مدينة القامشلي/قامشلو، إذ رأى جموع المتظاهرين وهم متخفين في الزوايا بينما كان عناصر الأمن متحصنين في ذلك المبنى، حيث كان المتظاهرون يرشقون المبنى بالحجارة في حين كان عناصر الأمن يردون بإطلاق الرصاص الحي باتجاه المتظاهرين، ما تسبّب بوقوع البعض من الجرحى، ويذكر "حسين"

بأنّ مبنى الجمارك كان مكوناً من ثلاثة طوابق، ولم يجرؤ أحد من الناس على الاقتراب من المبنى، لذا كانوا يكتفون برشق عناصر الأمن بالحجارة، دون أن تؤثر فيهم، وتابع قائلاً:

"قمت مع بعض الشبان بالقفز فوق جدار مبنى الجمارك، وتوجهنا إلى الداخل محاولين فتح الباب بأجسادنا، وكنا نريد الوصول إلى أولئك العسكر الذين كانوا يرمون الناس بالرصاص، وبينما كنت أحاول مع بعض الشبان فتح باب الجمارك بجسدي، عندها تلقيت رصاصة في ظهري، وأحسست بأنّ نفسي قد انقطع واسوّدت الدنيا في عيني، فقام الشبان بسحبي إلى خلف مبنى الجمارك، حيث أمكننا الاحتماء هناك فلم يكن بإمكان العساكر أن يطلقوا الرصاص علينا هناك، إلى أن استعدت أنفاسي قليلاً، فخرجت من باحة مبنى الجمارك، تحسسّت ظهري بعدها، وإذ به ينزف، وكانت هنالك فتاة بجانبي صرخت قائلةً بأنّ هذا الشاب قد جُرح أيضاً، لكنني قلت لها: "لا لا إنها مجرد قطعة زجاج أصابت يدي"، ولم أفصح لهم عن حقيقة جرحي لكوني كنت متخوفاً من أن يأخذوني إلى إحدى المشافي الحكومية، حيث كان يقال حينها بأنّ عناصر الأمن يجهزون على الجرحى هناك، فرجعت إلى المنزل بعدها، وقفت أمام المرآة وحاولت أن أرى ما حصل لظهري، فوجدت بأنه قد نزف دماً كثيراً، لكن قميصي كان قد التصق به، فأوقف النزف قليلاً، وشاهد أفراد أسرتي أيضا ماً حصل لظهري، فسألني والدي عما حصل لي، فقلت له: "لا أعرف، أعتقد أنها مجرد قطعة زجاج قد أصابتني"، إذ لم أجرؤ على إخباره بأنها رصاصة، ووالدي المسكين كان عليه أن يصدق ذلك، لأنه لم يكن هنالك مكاناً ليسعفني إليه، فقام أهلي بعدها بتضميد جراحي، وفي ذلك اليوم لم يعد أحد قادراً على الخروج من منزله، حيث تمّ إعلان حظر التجوال، وكانت الدوريات والشرطة إذا ما شاهدت أي شخص كردي في الشارع تقوم باعتقاله، سواء فعل شيئاً أم لم يفعل، وبالنسبة إلى ظهري كنت أشكّ في البداية أنها طلقة، ولكنّ الجرح شُفي بعد عدّة أيام، فقلت لنفسي ربما لم تكن رصاصة ونسيت الأمر بعدها حتى بعد خروجي من سوريا إلى السويد في العام 2011."

في شهر آب/أغسطس 2018، شعر "حسين" بآلام في صدره، وعلى الفور توجه للعلاج، حيث أخبره أحد الأطباء بأنّ صدره سليم، لكنّ هنالك قطعة من المعدن موجودة في ظهره، وسأله الطبيب فيما إذا كان قد تلّقى أية إصابة أو رصاصة في ظهره، وحينها استرجع "حسين" ما حدث معه في العام 2004، وتحديداً قبيل خروجه من سوريا إلى السويد، وتابع قائلاً:

"سألت الطبيب عمّا إذا كانت هنالك حاجة لإخراج الرصاصة، فأخبرني بأنّ إخراجها قد يسبّب لي آلاماً عندها، كما أخبرني بأنّ الحظ حالفني، لأنّ الرصاصة اصطدمت بالعظام ويبدو أنّ عظامي قوية، فلو أنها اخترقت العظام لكانت دخلت إلى القفص الصدري وكانت ستصبح مميتة عندها."

3. "كان عناصر الأمن يصوّبون نحونا بقصد إصابتنا":

لم يكن "محمد أمين حمزة" أفضل حالاً من "عبد السلام" فقد تعرّض هو الآخر للإصابة بطلق ناري خلال أحداث الملعب في مدينة القامشلي/قامشلو عام 2004، وينحدر "محمد أمين" من مدينة القامشلي/قامشلو من مواليد عام 1986، حيث مازالت تبعات إصابته ترافقه حتى يومنا هذا، وفي هذا الخصوص استحضر لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة[12]، مجريات اليوم الذي تلا أحداث الملعب، حيث قال:

[12] تمّ لقاؤه من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، عبر الانترنت وذلك بتاريخ 28 شباط/فبراير 2019.

"بتاريخ 13 آذار/مارس 2004، شاركت في التظاهرات التي خرجت احتجاجاً على ما حدث في ملعب القامشلي قبيل يوم واحد، وبينما كنا بالقرب من صوامع الحبوب، رأينا سيارة عسكرية تضمّ عناصر من قوات الهجانة[13]، وأذكر بأنّ العناصر كانوا قد ترجّلوا من السيارة، وقاموا برمينا (بالرشاش) بشكل عشوائي، ولا أذكر التوقيت بالضبط، لكن أعتقد أنّه كان حوالي (11:30) صباحاً أو شيئاً من هذا القبيل، وقد كانوا يصوّبون نحونا بقصد إصابتنا، وبالنسبة لي، فقد أصبت بطلق ناري في مؤخرة رأسي، حيث استقرّت الرصاصة بالقرب من العين اليمنى، ولا تزال مستقرة في رأسي حتى يومنا هذا، وأذكر أنني حين تعرّضت للإصابة، لم أكن متيّقناً من أنها رصاصة، فقد كان البعض من الصغار يحملون الجطل (أداة من المطاط ومثبتة على عصا مقوسة)، وظننت أنّ حجرة ما أصابتني، فقد كان الألم طفيفاً، ولم أدرك أو أتوقع أبداً أنها قد تكون رصاصة، لكن عندما لمستُ رأسي وجدت أنه ينزف دماً، وبدأت قدماي بالتنمل، وكذلك ذراعاي، وخارت قواي ولم أعد أشعر بشيء بعدها، حتى بعد مرور شهر و15 يوماً، حيث تمّ نقلي إلى مشفى الرحمة، وأذكر أنّ يدي اليمنى كانت مقيدة إلى السرير، كي لا أستطيع الهرب، وكانت هنالك عسكرياً على يميني وآخر على يساري، كما أذكر أنه لكثرة ما أعطوني أدوية انفجرت معدتي، كما حققوا مع والدي وكانوا يسألونه عن سبب خروجي في المظاهرات ضدهم، وبعد أن استفقت من الغيبوبة كنت آخر من يخرج من المشفى (من المصابين في تلك المظاهرات)، وكانت حالتي الصحية صعبة جداً، فبدأوا بعلاجي فيزيائياً، واستمروا بهذا العلاج لمدة ستة أشهر تقريباً، واستطعت بعدها تحريك أطرافي اليسرى، أمّا اليمنى فلم أكن أحركها بشكل جيد، إذ ما زلت أعاني حتى يومنا هذا من ضعف الحركة في أطرافي اليمنى."

عقب خروجه من المشفى، جاء عناصر لسوق "محمد أمين" إلى الخدمة العسكرية على الرغم من سوء حالته الصحية، ولم ينجح في الحصول على التسريح، إلا بعد جهد وعناء طويلين على حد وصفه، فقد تطلّب منه ذلك التوجه إلى مدينة الحسكة كي يكمل أوراقه، حيث أخبره الموظفون هناك بأنّ عليه التوجه إلى محافظة دير الزور، وبعدها إلى مدينة دمشق، ويذكر "محمد أمين" بأنّ عرقلة أموره وصعوبة حصوله على التسريح، لربما كانت نتيجة كونه أحد الجرحى الذي سقطوا خلال أحداث مدينة القامشلي/قامشلو، حيث علّق على ذلك بالقول:

"لم يبق لي مستقبل في سوريا، فعقب تسريحي من الخدمة العسكرية، حاولت البحث عن أي عمل، لكن الجميع كان يخبرني بأنّ اسمي خُطّ تحته باللون الأحمر، وقالوا لي أنني لن أستطيع العمل لأجل ذلك، لذا حسمت أمري وقررت التوجه إلى النرويج."

في بداية العام 2012، قرر "محمد أمين" الرحيل عن سوريا إلى النرويج، وكله أمل أن يتلقى العلاج هناك، لكن خيبة الأمل كانت كبيرة عندما أخبره الأطباء بأنهم لم يتمكنوا من علاجه، وبأنّ الرصاصة ستبقى مستقرّة في رأسه، موضحين له بأنّهم لو قاموا بإخراجها، فمن الممكن أن يصاب بشلل تام، وأن تتضرّر قدماه ويداه بشكل كامل.

4. "علمنا أنّ عدد الضحايا القتلى كان حوالي أربعة وأعتقد أنّ العدد صار ستة":

"حمزة همكي" شاهد آخر من مواليد مدينة توكل/جل آغا في محافظة الحسكة عام 1986، ويعمل كإعلامي، كما أنه الكرد السوريين المحرومين من الجنسية وتحديداً من فئة الأجانب، حيث قال لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة، بأنه كان شاهداً على أحداث الملعب التي جرت في مدينة القامشلي/قامشلو عام 2004، حيث روى[14] في هذا الخصوص قائلاً:

---

[13] وهي قوات حرس الحدود في الجيش النظامي السوري، وكانوا يرتدون الزي العسكري والشماغ والعقال.

[14] تمّ مقابلته بشكل مباشر من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة وذلك بتاريخ 8 شباط/فبراير 2019.

"حينما وصلنا الملعب البلدي في يوم 12 آذار/مارس 2004، كانت هنالك أزمة كبيرة، وكان هناك ناس كثيرون، كما كانت المباراة قد بدأت أو أوشكت على البدء، وأستطيع القول أنّنا كنا حوالي 300 شخصاً خارج الملعب، وكنا قد اشترينا للتو بطاقاتنا للدخول، وفي ذلك الوقت كان الجميع يأتي لحضور المباراة من عموم المنطقة، فقد كان هناك منافسة كبيرة، وماهي إلا لحظات حتى وجدنا أنّ هناك جلبة/أصوات عالية مترافقة مع ضوضاء غير طبيعية، تأتي من داخل الملعب، وكنا نحاول النظر من خلال الناس لنرى ما يحصل، فقالوا لنا بأنّ اشتباكات كانت قد نشبت بين الجمهور في الملعب، وعلى الفور قام الحراس بإبعادنا قليلاً، وحاولوا فتح باب الملعب، لكن ومن كثافة الناس في الداخل والخارج، لم يعد هنالك أي منفذ للدخول أو الخروج وأذكر بأنّني شاهدت العشرات من الناس وهم مصابين في رؤوسهم، إثر ضربهم الحجارة، وقد علمت لاحقاً من أحد أصدقائي بأنّ جماهير فريق الفتوة حين قدموا إلى الملعب، قاموا بملئ عبوات الماء/ترمز، بالحجارة السوداء، قبل أن يصلوا الملعب، حيث تمّ ضرب جماهير فريق الجهاد عن بعد بهذه الحجارة، وبعد حوالي 15 دقيقة، جاء عدد من عناصر حفظ النظام، وكانوا يرتدون اللباس الأسود، وقاموا أولاً بطردنا، فاتجهنا نحو شارع القوتلي بالقرب من الملعب، ثمّ عدنا مرة أخرى أمام الملعب، فعاودوا طردنا مرة أخرى، وحصلت مشكلة بيننا وبينهم حتى أننا أمطرناهم بالحجارة، وفي هذه الأثناء خرج الناس من الملعب، فافترقنا أنا وصديقي، وأضعنا بعضنا البعض في تلك الأزمة، والمشكلة ازدادت وكبر حجمها، إلى أن عدت إلى عملي في أحد فنادق مدينة القامشلي، وكان الوقت قد صار مساءَ بعد المغرب تقريباً."

حين عاد "حمزة" إلى عمله، علم بأنّ صديقه "سليمان" كان قد تعرّض للإصابة بطلق ناري، وبأنه تلّقى العلاج في منزل أحد الأطباء، وأشار عليه العاملون في الفندق بعدم إخبار أحد، كي لا يقوم عناصر الأمن السوري باقتياده، وذكر "حمزة" بأنه لم يعد يرى صديقه "سليمان" مدة 15 يوماً أو 20 يوماً، إلى أن جاء إلى العمل في أحد الأيام ولم يكن بوسعه العمل، وتابع "حمزة" قائلاً في هذا الصدد:

"كان سليمان قد تعرّض للإصابة تحت إبطه، وأخبرني أنّه وحين حصلت تلك الأزمة أمام باب الملعب، كان هنالك شرطياً لم يكن بينه وبين سليمان أكثر من متر، حيث قام بتصويب بندقيته على سليمان، فرفع يده واخترقت الرصاصة تحت إبطه وخرجت من ظهره، وفي صباح اليوم التالي، علمنا أنّ عدد الضحايا ممن قُتلوا في هذه الأحداث، كانوا حوالي أربعة، وأعتقد أنّ العدد صار ستة، وفي ذلك اليوم تمّ تشييع الجنازات وخرجت مظاهرة ضخمة، وانضممت إلى هذه التظاهرة في حوالي الساعة (11:00) صباحاً، عندما كانت قد وصلت إلى خلف شارع الوحدة بجانب فندق القامشلي، ثمّ توجهنا ووصلنا تقريباً إلى دوار السبع بحرات، ومن ثمّ توجهنا إلى مبنى الجمارك في حي قدور بك على الشارع العام، حيث كان هنالك عساكر يتمركزون في أعلى المبنى، في حين كان هناك شباناً يحاولون اقتحام باب المبنى، فدخلوا وقاموا بحرق بعض الأوراق داخل المبنى، وأذكر أنّ العساكر كانوا يقومون بإطلاق الرصاص في الهواء كي يخاف الناس، وفي عصر ذلك اليوم، شاهدنا المدرّعات وهي تدخل من جهة سوق المدينة، وفي هذا الأثناء، أصبح إطلاق الرصاص عشوائياً، فتفرق الناس وتوجهوا نحو الشوارع الفرعية، ودخلنا أحد المنازل التي كانت قد فتحت بابها للمتظاهرين، لنفاجئ بأن حوالي من 50 إلى 100 شخصاً كانوا قد احتموا داخل هذا المنزل رغم صغر مساحته، وفي أعلى المنزل كان هنالك جداراً من البلوك، وكنا نشاهد الرصاص الحي العشوائي يضرب ذلك الجدار، وكان هنالك بعض الشبان الذين اختاروا البقاء في الشوارع، ووقفوا أمام تلك المدرّعات، وكان الكثير منهم يتم استهدافه بشكل مباشر كما علمنا لاحقاً، وقد رأيت أحدهم بأمّ عيني كيف أصابته الرصاصة، أمام باب المنزل الذي كنت أحتمي به، حيث سقط أرضاً، فقام شابان في تلك اللحظة بحمله وإسعافه، وفي اليوم ذاته خرجت مظاهرة ضخمة في حي العنترية، وكان هنالك مظاهرة أخرى بالقرب من مبنى صوامع الحبوب، وثالثة في مكان آخر، وكانت كل مظاهرة تضمّ حوالي 10 أو 15 آلاف شخص."

الشاهد "حمزة الهمكي"، مصدر الصورة: الشاهد نفسه.

II. خسائر كبيرة إثر عمليات السلب والنهب:

لم تسلم محال الكرد السوريين شمال شرقي سوريا، من عمليات السلب والنهب التي طالتها من قبل عناصر الأجهزة الأمنية والسورية، وعدد من الشبان العرب، حيث أفاد العديد من شهود العيان الذين قابلتهم سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، بأنّ الأجهزة الأمنية السورية، كانت تدفع بالشبان العرب لكسر وسلب محال الكرد السوريين، بقصد كسر شوكتهم.

1. "شاهدت بأمّ عيني عدداً من محّال الكرد وهي تُحرق بعد أن نُهبت محتوياتها":

"جيندار عبد القادر" شاهد آخر، من مواليد مدينة الحسكة عام 1985، قال لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة، بأنه كان قد شاهد بأمّ عينه ما جرى في أحداث الملعب في مدينة القامشلي/قامشلو عام 2004، كما أشار إلى عمليات السلب والنهب التي طالت العديد من محال الكرد السوريين في مدينة الحسكة، حيث تحدّث[15] قائلاً في هذا الصدد:

[15] تمّ لقاؤه من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة عبر الانترنت، وذلك بتاريخ 26 شباط/فبراير 2019.

"في اليوم الذي جرت المباراة فيه بين فريقي الجهاد والفتوة، توجهت أنا كالكثير من شبان مدينة الحسكة إلى مدينة القامشلي لحضور المباراة، وفي الحقيقة فقد وصلنا متأخرين إلى الملعب وعندما وصلنا، كان الاقتتال قد حصل بين جمهوري الفريقين وانتهى جزء منه، وقد قيل لنا أنّ ثلاثة أطفال قد قتلوا نتيجة تدافع الناس، وقد جرح كثير منهم، وكان جمهور الفتوة قد نزل إلى وسط الملعب، وكان عناصر حفظ النظام في وسط الملعب أيضاً، وطلبوا منا أن نخرج من الملعب عندما وصلنا إلى المدرجات، فوجدنا بأنّ الوضع كان غير طبيعياً وكان سيئاً حقاً، وهنا عناصر النظام قاموا بإرغامنا على الخروج من الملعب، وعندما خرجنا شاهدنا الكثير من الناس وقد تعرّضوا لإصابات وجروح، وأعتقد بأنّ الملعب كان مطوقاً بالكامل، فقام الناس عندها برشق عناصر النظام وجمهور الفتوة الذي كان متواجداً في الملعب بالحجارة، واستمرّ هذا الأمر لنحو ربع إلى ثلث الساعة تقريباً، وبعدها قام الناس بكسر باب الملعب الذي يقع من جهة حي السياحي، وأردنا أن نخرج من باب الملعب إلا أنّ عدد الناس كان كبيراً جداً، فحدثت زحمة عند الباب، فقبض عليّ عناصر احفظ النظام، وأمسكوا بشابين آخرين أيضاً، واقتادونا إلى أرضية الملعب وضربونا ضرباً مبرحاً بالعصي التي كان يحملها عناصر حفظ النظام، ثمّ طلب قائدهم بأن يتم اقتيادنا، ولكن إلى أين، في الحقيقة لم نكن نعلم إلى أين سيأخذوننا، ولكن ولحسن حظي فقد أخذني أحد عناصر النظام من يدي و وهمس في أذني قائلاً: "امشي معي ولا تتكلم"، فأخذني العنصر من يدي إلى أن وصلنا إلى مقربة من باب الملعب الذي يقع مقابل الفرن، وقال لي: "اركض بعيداً ولا تقترب من هنا مجدداً، لأنهم إذا ألقوا القبض عليك مجدداً سيكون وضعك سيئا للغاية"، فخرجت من الباب، ولكنني عدت مع العديد من الشبان، فعاودوا رمي الحجارة على عناصر حفظ النظام، وهكذا إلى أن استطاع عناصر حفظ النظام الخروج من بابي الملعب، وقاموا عندها بمهاجمتنا، وما رأيته بأمّ عيني هو أنهم قاموا بإطلاق الرصاص الحي على الناس، في الشارع الذي تقع فيه قاعة نورالدين ظاظا، والمقابل للباب الرئيسي للملعب."

وتابع "جيندار حول ما جرى قائلاً:

"حينما قمنا بالفرار، أطلقوا علينا الرصاص، فأصابوا شابين، وقام عناصر النظام بالهجوم علينا، فلم يستطع أحد العودة إلى الشابين الجريحين وإسعافهما، ورأيت بأمّ عيني كيف أن عناصر النظام داسوا بأرجلهم على أحد الشابين الجريحين، ولم أعلم ما إذا كانت الرصاصة قد أصابت رأسه أو بطنه أو صدره، وبالنسبة لي فقد قمت بالتوجه إلى حي كورنيش حيث يسكن أقارب لي هناك، فشربت عندهم كأساً من الماء، وتوجهت بعدها إلى الكراج حيث رجعنا إلى مدينة الحسكة."

في اليوم التالي، كان أهالي مدينة الحسكة مستائين مما حصل في مدينة القامشلي/قامشلو، وخاصةً بعد سقوط العديد من الجرحى من الشبان والأطفال، وهو ما دفع بالعديد من أهالي المدينة للتظاهر، حيث خرج عدد من الشبان في منطقة مساكن الصالحية ونادوا على الناس، ثمّ تزايد العدد، حيث انضمّ إليهم أصحاب المحال والناس المتواجدون في الشارع الرئيسي، كما انضمّ النساء والأطفال وكبار السن إلى هذه المظاهرة، ثمّ توجه المتظاهرون إلى سوق المدينة عبر دوار الطير، حيث كان يتواجد عدد من عناصر حفظ النظام، ما اضطرّ المتظاهرون إلى سلوك طريق آخر من أجل بلوغ سوق المدينة، وتابع "جيندار" قائلاً:

"عندما وصلنا إلى جسر المفتي، وجدنا عدداً من عناصر حفظ النظام، إضافة إلى عناصر من فرق الإطفاء وهو يقومون برشّ المتظاهرين بالماء ويرغموهم على التراجع، ولكنّ الناس لم يرجعوا وقاموا بمهاجمة عناصر حفظ النظام، وكما سقط اثنان من عناصر الإطفاء بين أيدي المتظاهرين، وقاموا بضرب العنصرين ثمّ أطلقوا سراحهم ولم يتأذوا بشكل كبير، ثمّ اتجه المتظاهرون إلى دوار الكراج في المدينة، ثمّ دوار مرشو، ومنه إلى شارع القامشلي الذي

يؤدي إلى ساحة الرئيس، وخلال الطريق قام المتظاهرون بتكسير اللوحات الإعلانية وزجاج السيارات في الطريق، ثمّ وصلنا مقابل مبنى اتحاد الفلاحين، وهناك أطلق حراس المبنى الرصاص على المتظاهرين، وسقط نتيجة ذلك عدد من الجرحى، منهم ثلاثة شبان وفتاة، وبعدها ازداد إطلاق الرصاص، وقُتل شاب من المتظاهرين لا أتذكر اسمه، فحمل المتظاهرون الجرحى وتوجهوا إلى مشفى "عصام بغدي"، الذي لم يقبل أن يستقبل الجرحى، فقام الناس بأخذ الجرحى بواسطة سيارات إلى منازل أطباء حتى يسعفوهم، وأمّا نحن فقد رجعنا من اتحاد الفلاحين إلى مشفى "عصام بغدي"، ومررنا بأحيان المواطنين المسيحيين، ثمّ توجهنا إلى دوار الصناعة الذي يقال له دوار الطير، ورجعنا بعدها إلى حي الصالحية."

بعد مرور حوالي الساعة، نزل عناصر حفظ النظام إلى الشارع الرئيسي لحي الصالحية في مدينة الحسكة، ووقفوا هناك حتى يمنعوا خروج الناس في أية مظاهرات أخرى، بحسب ما ذكر "جيندار"، إذ كانوا قد انتشروا في حي الصالحية على الشارع العام وصولاً إلى فرن "السابع من نيسان"، وتابع قائلاً في هذا الصدد:

"انضمّ عدد من أهالي حي الغزل الذي يقطنه غالبية عربية، إلى عناصر حفظ النظام، وقاموا بمهاجمة الكرد، ولم يكن قد بقي أحد في الشوارع وكانت الناس قد أغلقت محالها، فجاء هؤلاء وقاموا بنهب كثير من محال الأكراد، ومنها محل للموبايلات، ومحل فارس للسجائر وكثير من محال الألبسة، وكانت خسائر هذه المحال كبيرة جداً، وبعض من جيراننا ممن كانوا يملكون محال على الشارع العام كانوا يريدون الذهاب للوقوف عند محلاتهم حتى يمنعوا نهبها، وهنا قام عنصر من حفظ النظام بإطلاق النار على الناس، فأصابت شاباً في بطنه، وكان عنصر النظام الذي أطلق النار عربياً، وبيته يقع في حي الصالحية، حيث كان معروفا ومن أهالي الحي، وكانت والدته كردية ووالده عربياً، أمّا الشاب الذي أصيب في بطنه فقد تمّ إسعافه بعدها وأخرجت الرصاصة من بطنه وتحسّن وضعه فيما بعد، وفي الأيام التالية شاهدت بأمّ عيني محال البعض من الكرد وهي تُحرق بعد أن نهبت محتوياتها، ومنها ما تمّ تكسير زجاجها وأقفالها، وبعد هذا الأمر بفترة قام عناصر النظام ودورياته بالهجوم على الكثير من منازل الأهالي، واعتقلوا كثيراً من الشبان منهم "عبدالله بدرخان"، إضافة إلى شبان آخرين منهم من حي الصالحية ولكنني لا أذكر أسماءهم، والعديد منهم سجنوا وقضوا مدة سجن وصلت من سنة إلى سنتين، وكما تعرّضوا لكثير من الأذى والتعذيب في السجن."

2. "كان عناصر النظام هم من يدفعون بالشبان العرب لسلب محّال الكرد ":

وفي شهادة أخرى أدلى بها "حسن علو" وهو من مواليد مدينة رأس العين/سري كانيه عام 1990، كما أنه أحد الكرد السوريين المحرومين من الجنسية وتحديداً من فئة الأجانب، حيث قال لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة بأنه كان شاهداً على حوادث السلب والنهب التي جرت في مدينة رأس العين/سري كانيه، والتي تلت أحداث ملعب القامشلي/قامشلو عام 2004، حيث تحدّث[16] في هذا الخصوص قائلاً:

"كان عمري 14 عاماً، حين اندلعت أحداث الملعب، وكنا نملك محلاً لبيع الألبسة بالقرب من دوار البريد، وقد قام بعض الشبان العرب بتكسير محال الكرد وكان من بينهم محلنا، حيث تمّ تكسيره وسرقة ربع البضاعة منه، وكانوا سيسرقون كامل البضاعة لولا أنّ جارنا العربي منعهم من ذلك، وقد بلغت قيمة البضاعة المسروقة من محلنا وقتها

[16] تمّ لقاؤه من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة عبر الانترنت، وذلك بتاريخ 25 شباط/فبراير 2019.

حوالي 250 ألف ل.س، في حين كان هنالك محال قد تعرضت للسلب والنهب بالملايين، ومن بينها محلان لآل "ملا درويش"، وكان عناصر النظام هم من يدفعون بهؤلاء الشبان العرب لكسر وسلب محال الكرد."

وتأكيداً على ما سبق، أفاد "سردار ملا درويش" من مواليد مدينة رأس العين/سري كانيه، بأنّ إحدى المحال التي يملكونها في المدينة، كانت قد تعرّضت هي الأخرى للسلب والنهب، في الأيام التي تلت أحداث ملعب مدينة القامشلي/قامشلو 2004، حيث تحدّث لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة[17] حول ما حدث قائلاً:

"بتاريخ 13 آذار/مارس 2004، وبعد تشييع جنازات القتلى الذين سقطوا خلال أحداث الملعب، تظاهر أهالي مدينة رأس العين/سري كانيه، كما بقية المدن الكردية الأخرى، وحينها قاموا بكسر تمثال "حافظ الأسد"، كما قاموا بتمزيق صور ورموز حزب البعث في جميع مؤسسات الحكومة في المدينة، وحينما أراد بعض الشبان أن يهاجموا أماكن مثل محطة المحروقات والمصرف الزراعي، قمتُ ومجموعة أخرى من الشبان بمنع ذلك، وتلا ذلك حملة اعتقالات واسعة بالمدينة من قبل جهاز الأمن العسكري والسياسي وأمن الدولة، وكان هنالك من يتم احتجازه ونقله إلى مدينة القامشلي لأكثر من شهر، وهناك من تمّ نقلهم إلى مدينة الحسكة، كمل تمّ نقل بعضهم إلى سجن صيدنايا. وأذكر أنه عقب عودتنا إلى منازلنا في حوالي الساعة (2:30) ظهراً، وردنا اتصال هاتفي من أحد الأطباء في مشفى السلام الواقع قبالة محل والدي في شارع الكنائس، وأخبرنا بأنّ السكان العرب خرجوا وبدأوا بسلب ونهب المحال، وبعد ساعة علم والدي بأنهم قاموا بإفراغ محله بالكامل ونهبه، تحت أعين أمين شعبة حزب البعث، وكان اسمه "أيمن عطية" وهو من عشيرة العدوان، إضافة إلى "أبو وائل حوكان" رئيس مفرزة أمن الدولة وعناصر أخرى، ففي ذلك الوقت وكردّ فعل على المظاهرات التي خرج بها الكرد، تجمّع عدد من الشبان العرب في شعبة حزب البعث العربي، حيث قام النظام بتسليحهم على الفور، وبغطاء من فرع أمن الدولة وشعبة الحزب، وتمّ تسليم الأمر حينها لأشخاص سيئين من عشيرة العدوان، مثل "ماجد الحلو" والذي قال وسط شعبة الحزب بأنّ الكرد بالوا على تمثال "حافظ الأسد" ونحن سوف ننتقم" حسبما سمعنا لاحقاً، وقد كان هؤلاء من محبي "صدام حسين"، على اعتبار أن مدينة رأس العين/سري كانيه، تضمّ مكونات كثيرة من كرد وعرب وسريان وتركمان وأرمن وهي خليط من المكونات المنوعة."

وأضاف "سردار" بأنّ العديد ممن شاركوا في عمليات السلب والنهب في مدينة رأس العين/سري كانيه، كانوا معروفين ومن أهل المدينة، مثل "عز الدين الفراتي" الذي ينتمي لعشيرة العدوان، وبحسب ما أفاد "سردار" فحين جاء عناصر حفظ النظام وعدد من الشبان العرب إلى شارع الكنائس بقصد نهبه، تركوا جميع محال السريان وقاموا بنهب محل والد "سردار" ومحل ابن عمته "أبو سالار"، حيث تابع قائلاً في هذا الصدد:

"قاموا بكسر واجهة محل والدي المخصص لبيع الساعات، وسرقوا منه بضاعة تقدّر بحوالي مليون أو مليون ومئتي ألف ليرة سورية، ، وبالنسبة لمحل "أبو سالار" فهو محل لصياغة الذهب، وكان به قاصة للذهب حاولوا كسرها لكنهم لم يفلحوا في ذلك، فمنعهم بعض الشبان العرب الذين ينحدرون من عشيرة "حرب" العربية، والشيء الإيجابي أنّ بعض الكرد والسريان ذهبوا برفقة المطران إلى شعبة حزب البعث العربي لتهدئة الأوضاع، لكنّ جزءاً من العرب هناك استشعروا القوة فالسلاح كان بيدهم، ولم يوافقون على تهدئة الأوضاع، فجاء عناصر حفظ النظام والأمن وتمّ تطويق المدينة لفترة، وفي هذه الأثناء بدأت حملات الاعتقال، وبعد عدّة أيام ذهب والدي إلى المحل ولم يدعنا نخرج لأنه سمع أنّ النظام يعتقل الشبان، فقام والدي لحرصه علينا بإهداء الساعات المتبقية في محله

[17] تمّ لقاؤه من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة عبر الانترنت، وذلك بتاريخ 28 شباط/فبراير 2019، ويعتبر أحد الكرد السوريين المحرومين من الجنسية وتحديداً من فئة الأجانب.

لعناصر من الأمن العسكري ليغضوا الطرف عن اعتقالنا، فأنا نفسي كنت مطلوباً من قبل الأمن العسكري وقد غضّوا الطرف عني، لكن جهاز أمن الدولة ظلّ يحاول اعتقالي، فاختبأت لمدة عشرين يوماً في منزل عمي، وكنا نعيش حالة قلق دائمة، فكنا في الليالي ننتظر المداهمات وفي النهار ننام، كما اعتقلوا ثلاثة من أبناء عمومتي، وفي النهاية قررت تسليم نفسي لأتخلص من حالة القلق، وبالفعل هذا ما حدث ، فقد أمضيت يومين من الاحتجاز تعرّضت خلالها للضرب، ومن ثمّ خرجت، وفي إحدى المرات جاءت شخصية معروفة من المدينة/لا أود ذكر اسمه ، وقال لوالدي بأنّ ما حدث له ضريبة كونه برزانياً."

سارعت عائلة "سِردار" إلى رفع دعوى ضدّ السارقين، إثر عمليات السلب والنهب التي طالت محل والده في مدينة رأس العين/سري كانيه، ورغم محاولاتهم الحثيثة فقد تمّ تسجيلها ضدّ مجهولين، وتمّ إغلاقها فيما بعد، كما ذكر بأنّ حالة من التوتر كانت قد ازدادت آنذاك ما بين المكون العربي والكردي في المدينة إثر ما حدث، مشيراً إلى أنّ البعض من هؤلاء السارقين، كانوا يحضرون ساعاتهم المسروقة لصيانتها في محل والده.

III. "عمليات فصل جماعية في جامعة دمشق":

عقب أحداث الملعب التي اندلعت في مدينة القامشلي/قامشلو عام 2004، تظاهر العديد من الشبان الكرد السوريين في مدينة دمشق احتجاجاً على ما حدث، وقد وصلت شرارة هذه الاحتجاجات إلى جامعة دمشق، وعلى إثرها تمّ فصل العديد من الطلاب الجامعيين من الكرد السوريين، إمّا بشكل نهائي أو مؤقت، كما تمّ احتجاز العديد منهم بحسب الروايات التي استمعت إليها سوريون من أجل الحقيقة والعدالة.

1. "تمّ فصل 12 طالباً جامعياً بشكل نهائي":

"إبراهيم مراد" من مواليد بلدة طبكي بالقرب من مدينة المالكية/ديريك، قال لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة بأنه كان طالباً جامعياً في مدينة دمشق، عندما اندلعت أحداث الملعب بتاريخ 12 آذار/مارس 2004، حيث تحدّث[18] في هذا الخصوص قائلاً:

"كنا قد سمعنا حينها بالأخبار التي وردت إلينا من مدينة القامشلي، فاجتمعنا نحن الطلاب الكرد في جامعة دمشق، وبدأنا بترقب الأحداث، واتفقنا على أن نبدي موقفنا وأن نتظاهر دعماً للكرد والجرحى، وكانت التظاهرة في حوالي الساعة (10:00) مساءً من يوم 12 آذار/مارس 2004، في ساحة الأمويين في مدينة دمشق، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تظاهرنا فيها، وبعد انتهائنا من التظاهر عدنا للمدينة الجامعية في تلك الليلة، وأجرينا مفاوضات مع أمن ومسؤولي الجامعة، بغية إيقاف المجزرة التي تحدث في القامشلي، وواجهنا الكثير من المصاعب، فقد كان عددنا نحن الطلاب الكرد كبيراً، فقمنا بتشكيل لجنة تمثلنا، حيث قامت هذه اللجنة بمقابلة مسؤول الجامعة ومسؤول المدينة الجامعية وكذلك مسؤول الطلاب، ومعظم الطلاب الذين ذهبوا للقاء هؤلاء المسؤولين تمّ فصلهم بشكل نهائي من الجامعة لاحقاً، وفي اليوم التالي استمرّت مظاهراتنا، وبلغ عدد المعتقلين خلال تظاهرات جامعة دمشق حوالي 500 شاب وشابة، وأرادوا اعتقال كل الطلاب الكرد حتى يتمكنوا من إيقاف هذه المظاهرات، بعد ذلك أعيد إطلاق سراح الطلاب بعد نحو 15يوماً، وكان من نتائج هذه المظاهرات، أن تمّ فصل 12 طالباً بشكل نهائي من الجامعة، وحوالي من 9 إلى 10 طلاب وطالبة واحدة، تمّ فصلهم فصلاً مؤقتاً، ونتيجة لتلك المظاهرات في

[18] يعتبر إبراهيم أحد الكرد السوريين المحرومين من الجنسية وتحديداً من فئة الأجانب، وكان قد تمّ لقاؤه من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة عبر الانترنت وذلك بتاريخ 25 شباط/فبراير 2019.

جامعة دمشق والأحداث التي جرت في القامشلي قدمت إلى كردستان العراق كي أكمل دراستنا، ومازلت مقيماً فيها حتى يومنا هذا."

2. "عليكم الاعتراف بأنكم تنظيم إرهابي":

"هامان علي" شاهد آخر من مواليد مدينة القامشلي/قامشلو عام 1981، وكان قد تعرّض للاحتجاز على أيدي عناصر الأمن السوريين، عقب مشاركته في التظاهرات التي خرجت في مدينة دمشق، احتجاجاً على ما حدث في مدينة القامشلي/ قامشلو، حيث استحضر لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة[19] ما جرى قائلاً:

"في العام 2004، كنت طالباً جامعياً في قسم الإعلام في جامعة دمشق، وحينما اندلعت أحداث الملعب في مدينة القامشلي، كانت قد انقطعت الاتصالات ما بين مدينتي دمشق والقامشلي ولم نكن نعلم ما الذي يحدث حينها، وفي ذلك العام كنت قد استأجرت غرفةً في حي الإخلاص/المزّة قبالة كلية الطب، وكنت وأحد أصدقائي "شاهين برزنجي" نأتي باستمرار إلى السكن الجامعي على اعتبار أنّ لنا أصدقاء كثيرون، وقررنا أن نقوم باعتصام لمعرفة ما يجري في مدينة القامشلي، وجلسنا بصمت في ساحة المدينة الجامعية مقابل السكن الجامعي، والتي يوجد فيها تمثال ل"حافظ الأسد"، فجلسنا أكثر من 100 طالباً وطالبة وكنا صامتين، فجاءت إدارة الجامعة وإدارة السكن وسألونا عن سبب الاعتصام، فأجبناهم بأننا نريد أن نعلم ما الذي يجري في مدينة القامشلي، وقلنا لهم بأننا قلقون على أهالينا وأقربائنا ولا نعرف ما الذي يحصل هناك، فهناك الكثير من الإشاعات، ونريد من أي جهة رسمية أن تقوم بطمأنتنا، فطلبوا منا التفرق، وفي اليوم التالي تجمّعنا مرة أخرى في الساحة، دونما تنظيم أو تخطيط، فجلسنا في ساحة المدينة الجامعية، وبقينا على هذا الحال لمدة يومين أو ثلاثة، فقام الطلاب البعثيون من درعا ومن مناطق أخرى بتنظيم مظاهرة وهجموا علينا، ورفعوا شعار "تعيش سوريا ويعيش بشار الأسد"، وكانوا ينوون افتعال مشكلة، لكي نردّ عليهم ونتشابك معهم، لكننا لم نتكلم ثمّ تفرقنا."

في اليوم الرابع، تجمّع العديد من الطلاب الكرد مرة أخرى خارج المدينة الجامعية، حيث قرروا التوجه إلى مبنى رئاسة مجلس الوزراء في مدينة دمشق، حيث أخذ الطلاب بالهتافات طوال طريقهم إلى هناك، وذكر "هامان" بأنّ هذه الهتافات لم تكن موجهة ضدّ الحكومة السورية، لكنّ مضمونها كان يدور حول معرفة الحقيقة، وما إن وصلوا ساحة الأمويين وسط مدينة دمشق، حتى فوجئوا بأنّ الطريق أغلق أمامهم، حيث قال لهم طلاب مرتبطون بإدارة الجامعة بأن يرجعوا من حيث أتوا وبأنه سيتم حلّ المسألة، وتابع "هامان" قائلاً:

"أخبرناهم بأننا متوجهين إلى رئاسة مجلس الوزراء، كي ننقل امتعاضنا وشكوانا وهذا أمر طبيعي فالناس يموتون في القامشلي، وبأنّ لنا الحق في معرفة السبب، وبهذه الطريقة تفرّق الطلاب مرة أخرى، ورجعنا فسمعنا أنّ أهالي حي وادي المشاريع/زورافا ذو الغالبية الكردية في مدينة دمشق، كانوا قد خرجوا في تظاهرة، ووصلوا إلى منطقة الربوة، وعلى الفور سارعنا بالتوجه إلى منطقة الربوة، فرأينا كيف كان الناس متوقفين أمام جسر الربوة، فوصلنا هناك وكنا ننوي الانضمام إليهم، فرأينا فجأةً كيف أنّ قوات حفظ النظام هاجموا المتظاهرين والطلاب، وقاموا بضربهم، فردّ عليهم الطلاب برمي الحجارة، إلا أنهم هاجمونا وألقوا القبض على بعض الطلاب، فهربنا خلف المطاعم المتواجدة في المنطقة، ولم يتم إلقاء القبض علينا وسمعنا فيما بعد أنهم ألقوا القبض على 15 طالباً وربما أكثر، ومنذ ذلك اليوم بدأ عناصر الأمن بإلقاء القبض على كل شاب كردي عند باب المدينة الجامعية، وفي تلك الليلة أو التي تلتها لا أذكر بالضبط، قامت قوات حفظ النظام بالهجوم على حي وادي المشاربع كما سمعنا، وخاصةً

[19] تمّ لقاؤه من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة بشكل مباشر وذلك بتاريخ 16 شباط/فبراير 2019.

أنهم لم يتوقفوا عن التظاهر حينها، وكان ابن عمتي مشاركاً في تلك التظاهرات، وأخبرني كيف أنّ عناصر الأمن كانوا يرتدون الثياب المدنية، كما كان من بين المتظاهرين عناصر من الأمن الذين يرتدون الثياب المدنية، وكانوا يساعدون في إلقاء القبض على المتظاهرين وتسليمهم لقوات حفظ النظام."

علم "هامان" لاحقاً بأنّ عناصر الأمن السوري عمدوا إلى اعتقال ما يقارب الألف شخص خلال هجومهم على حي وادي المشاريع/زورافا ذي الغالبية الكردية، كما أشار إلى أنّ الاعتقالات طالت العديد من الطلاب الجامعيين، ناهيك عن فصل العديد منهم مثل ومنهم صديقه "شاهين برزنجي" و"بيريفان عيسى، و"منار نسي" و"مسعود مشو" إذ كان هؤلاء قد فُصلوا بناءَ على تقارير أمنية رفعت بحقّهم، وتابع "هامان" حول مجريات ما حدث قائلاً:

"في إحدى المرات تجمّعنا في شارع الصالحية بالقرب من مبنى مجلس الشعب وكنا بالعشرات، فجاء عناصر الأمن وقاموا بتفريقنا بشكل ليس عنيف، لكنهم لم يدعونا نكمل اعتصامنا، وفي تلك الأثناء كان هنالك تحركاً من قبل الطلاب، وحاول البعض إنشاء حركة للطلبة الكرد بجامعة دمشق، وكانت هذه الحركة موجودة قبل هذه الأحداث، وكانت في الأساس لأجل مساعدة الطلبة الكرد الجدد وتنظيم بعض الأنشطة الثقافية والترفيهية لهم، لكنهم حاولوا تنظيم أنفسهم في هذه الأحداث بشكل أكبر، فأصدر أحد الشبان ويدعى "شفان عبدو" بياناً أعلن من خلاله عن إنشاء اتحاد الطلبة الكرد في سوريا، وكان البيان يتحدث عن حالة القمع والقتل والاستهداف المتعمّد للمدنيين الكرد في القامشلي والمناطق الأخرى، وقد تسبّب هذا البيان في إحداث الضجة، فحاول عناصر الأمن معرفة من كان ورائه، وفي أحد الأيام جاء شفان إلى المدينة الجامعية، وكان الوضع قد هدأ نوعاً ما، بعد 15 يوماً، لكنّ الكثير من الشبان تمّ اعتقالهم، حتى أنّ بعض العساكر من الكرد ممن جاؤوا إلى أمام المدينة الجامعية، كان قد تمّ اعتقالهم أيضاً، وبينما كان شفان يحاول الدخول إلى المدينة الجامعية، تمّ توقيفه من قبل عناصر الأمن، إذ قاموا بتفتيشه فوجدوا بحوزته قرص لنقل المعلومات، لكنّ شفان حاول الفرار منهم، من أجل لفت نظر الطلبة الكرد، وكي يعلموا أنه جرى اعتقاله، فرآه أحد أصدقائنا ويدعى "محمد أمين شكري"، وقال له أن يخبر أصدقاءه بأن يأخذوا الحيطة والحذر لئلا يتم اعتقالهم."

عقب احتجاز "شفان" تعرّض هامان هو الأخر للاحتجاز على أيدي عناصر الأمن السوريين برفقة عدد من أصدقائه، وتحديداً بتاريخ 27 آذار/مارس 2004، حيث كان عناصر الامن قد داهموا منزل أحد أصدقائه في منطقة الطبالة في مدينة دمشق، وقاموا باقتياده مع عدد من أصدقائه ومنهم "رمضان خليل و"حسن بكو"، إلى فرع المخابرات الجوية في حي المزة، وحول ذلك أضاف "هامان" قائلاً:

"حين اقتادونا قاموا بعصب أعيننا، وأهانونا وضربونا طيلة الطريق، وكانوا يستهزؤون بالكرد كثيراً، ومن ثمّ وضعونا في المنفردات، وأذكر أنني سمعت صوت امرأة كانوا يقومون بإهانتها وكانوا ينعتونها بصفات نابية، إذ بقيت يوماً واحداً، وكانت من حي وادي المشاريع/زورافا، لكنهم أهانوها كثيراً وكانوا يعاملونها بطريقة سيئة جداً، وبقينا محتجزين لمدة تسعة أيام، حيث قام ضابط كبير لم أعرف رتبته بالإشراف على استجوابنا، وفيما بعد وحين نشروا صورة له عرفت أنه "جميل حسن"، وهو الآن ذو منصب كبير في مخابرات النظام، وفي ذلك الوقت أخبرنا أنه يجب علينا الاعتراف بأننا تنظيم إرهابي، فأخبرناه بأننا لسنا تنظيماً ولا شيء من هذا القبيل، فقال لنا أنّ هنالك تفجيراً حصل في القامشلي خلف البلدية، وعلينا أن نعترف بأننا من قمنا به، فأخبرناه بأنه لا علم لنا عن هذا التفجير، وفيما بعد علمنا أنه تمّ تفجير قنبلة صوتية خلف البلدية في نهر الجقجق، ويبدو أنّ النظام هو من فعل ذلك بقصد إثارة البلبلة، وبعدها جاؤوا واستجوبونا مرة أخرى فلم نعترف بأي شيء."

كان "هامان" يتعرض للضرب والإهانة خلال فترة احتجازه، وكانت المفاجأة عندما شاهد صديقه "شفان" وهو محتجز في الزنزانة المجاورة له، وقد كتب على باب الزنزانة "محروم من الطعام والشراب، ويجب أن يبقى واقفاً لثلاثة أيام"، وأضاف "هامان" قائلاً:

"تواصلت مع شفان عبر الإشارات، فأشار إليّ عبر الحركات، أنه لم ينطق بأي شيء ضدنا، لذا ليس علينا الاعتراف بأي شيء، وفي ذلك الوقت بقينا ثلاثة أيام واقفين ومحرومين من النوم في المعتقل، ويبدو أنّ هنالك حارساً في نهاية الممر، كان يراقب لئلا نجلس، وفي الفجر حين كان يعمّ الهدوء وينام الحارس، كنت أستلقي وكان هنالك بطانيتان عسكريتان فقط، وكان الجو حينها بارداً، وفي اليوم التالي تمّ اقتيادنا للتحقيق، وكانوا يحاولون التركيز على المظاهرات والاعتصامات ومن يقف وراء تنظيمها، فقلنا بأننا كنا نخرج بعفوية ولا شيء منظم، واستمرّ التحقيق معنا ثلاثة أيام، فكانوا يتبعون معنا أسلوباً نفسياً، فكان هناك من يضربنا تارةً بينما كان هناك من يحاول الحصول على معلومات واعترافات منا عن طريق اللين تارة أخرى، وطبعاً كانت أعيننا معصوبة ونجثو على ركبنا، وأذكر أنهم قاموا بوضع أحد أصدقائي "رمضان خليل" في الدولاب وضربوه بالخيزرانات، طبعاً لم يؤذوه كثيراً، لكنهم ضربوه حتى أغمي عليه، فجاؤوا به إلى الغرفة، وبعدها جاؤوا إلينا بالطعام بعد حرمان يومين، فكانوا على ما يبدو يخافون أن يقوم "رمضان" بالانتحار أو أي شيء من هذا القبيل، لذا قاموا بجلب الطعام إلينا، وكان "رمضان" بالفعل قد مرض لأنه كان نحيلاً كثيراً، ونحن أيضاً أصبنا بنزلة برد جرّاء البرودة، كما أذكر بأنّ العناصر كانوا يهينوننا ويقولون: "هل تريدون إقامة دولة كردية؟"، وكان البعض يقول لنا: "أنتم عملاء للصهاينة ولأمريكا، وأنت قمتم برفع علم أمريكا في القامشلي"، وبالطبع لم نكن نستطيع أن نجادلهم ولا فعل أي شيء، وكان بإمكانهم أن يفعلوا بنا أي شيء."

عقب تسعة أيام، تمّ الإفراج عن "هامان" وأصدقائه، إذ تمّ اقتيادهم إلى "جميل الحسن" والذي قال لهم بالحرف الواحد: "لا تظنوا أنفسكم أبطالاً، فلو أردنا لجعلناكم تعترفون، وعليكم مراجعتنا كل 15 يوماً"، وبحسب ما ذكر "هامان" فإنه لم يقم بمراجعتهم أبداً، على عكس صديقه "رمضان" الذي كان يقوم بمراجعتهم ويمضي هنالك ساعات طوال يتعرض خلالها للإهانة، ومن ثمّ يعود إلى منزله، على حد وصف "هامان".

IV. عمليات الاعتقال التعسّفية:

تزامنت أحداث القامشلي عام 2004، مع حملة اعتقالات واسعة، طالت العديد من الكرد السوريين في مختلف المناطق السورية، دون أن تقتصر هذه الحملة على الشبان فحسب، إذ شملت أطفالاً لم يتجاوزا ال 18 عاماً بعد، كما لم يسلم منها كبار السن، وقد احتُجز هؤلاء لفترات مختلفة، وتمّ نقل بعضهم إلى سجن صيدنايا العسكري، ليعايشوا هناك أسوأ وأقسى فترات من حياتهم، ذكروا بأنها ستبقى محفورة في الذاكرة.

1. أنتم أهل حلبجة، هل نرميكم بالورود؟:

"عبد القادر محمد علي"، من مواليد مدينة رأس العين/سري كانيه عام 1955، وهو أحد الكرد السوريين المحرومين من الجنسية وتحديداً من فئة الأجانب، وكان يعمل منذ العام 1992، كحكم دولي على لائحة الفيفا عالمياً، لكنه تعرّض للاحتجاز في سجون الأجهزة الأمنية السورية على خلفية أحداث مدينة القامشلي/قامشلو عام 2004، حيث

روى أنه تعرّض لأنواع عديدة من التعذيب خلال فترة احتجازه تلك، إذ تحدّث لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة[20] مستحضراً ما جرى قائلاً:

"بتاريخ 12 آذار/مارس 2004، كنت مكلّفاً بتحكيم مباراة ما بين فريق تشرين وفريق الحرية في مدينة اللاذقية، وكنت حينها حكم ساحة، فأخبرني مراقب المباراة حينها أنّ مباراة القامشلي لم تسر على ما يرام، وبأنّ حوادث عدّة قد وقعت هناك، فأتممت المباراة وما إن انتهت حتى قمت بالتواصل مع عائلتي، لأنّ ابني "آزاد" وعمره 13 عاماً، كان يريد أن يحضر المباراة في ملعب القامشلي فأخبرته ألا يحضرها، وعندما وجدته مصراً سمحت له بالذهاب، وعندما تواصلت مع العائلة، فقالوا لي بأنّ "آزاد" لم يتصل بهم، فتواصلت مع بعض معارفي في مدينة القامشلي، حيث أخبروني أنهم لم يروا آزاد، وبأنّ الأرض مشتعلة ولا أحد يعرف عن أحد شيئاً، فقمت باستئجار سيارة خاصة، وتوجهت إلى منزلي في مدينة رأس العين/سري كانيه، ووصلت في حدود الفجر تقريباً، ولم أجد ابني هناك، وفي حوالي الساعة (7:00) صباحاً قررت أن أخرج إلى مدينة القامشلي/قامشلو، فأوقفتني دورية أمنية، وكان رئيس الدورية قائد شرطة مدينة رأس العين وكان يعرفني حقّ المعرفة وكان برتبة نقيب واسمه "نورس"، وكنا نعرف بعضنا جيداً، فحاول كثيرا منعي من الخروج باتجاه القامشلي، وقال لي بأنّ هنالك 12 دورية طوال الطريق إلى الدرباسية، و25 دورية أخرى طوال الطريق إلى القامشلي، فرجعت لكن لم أستطع أن أصبر وكانت اتصالاتي قائمة بيني وبين معارفي في مدينة القامشلي، كي أطلّع على آخر المستجدات، وبعد لحظات التمّ حولي بعض الشبان، وأخبرتهم أننا على الأقل سنقوم بشيء لنخفف العبء عن مدينة القامشلي، فقمنا بإغلاق عدد من محّال الكرد في المدينة، وقبل أن نصل إلى سوق المدينة كان عددنا قد أصبح أكثر من ألفي شخص."

بدأت جموع الناس بالتظاهر وسط المدينة، وحاول بعضهم كسر لافتة أحد الأطباء العرب، إلا أنّ البعض الآخر اعترضوا على ذلك، وحاولوا منعهم دون نتيجة، وذكر "عبد القادر" أنّ أنباءَ قد وردت إليه عن قيام مجموعة أخرى من المتظاهرين بإحراق "مكتب الشبيبة"/هيئة تابعة لحزب البعث العربي، إذ علم أنّ ابنه "آزاد" واحداً من بينهم، حيث روى في هذا الصدد قائلاً:

"في هذه الأثناء، توجهنا إلى مخفر مدينة رأس العين/سري كانيه، ولم يكن هنالك أحد في الداخل، وكان باستطاعتنا اقتحام المخفر وأخذ السلاح، لكننا لم نفعل ذلك، وتهجمنا على مفرزة الأمن، وكان المتظاهرون يريدون الهجوم على منزل مدير المنطقة فلم أسمح لهم بذلك، وبعدها توجهنا إلى الطريق الواصل إلى مدينة الحسكة، وكان هنالك تمثالاً لحافظ الأسد قمنا بكسره، وفي المغرب تفرّق الجميع وذهبوا إلى منزله، لكننا وضعنا حرّاساً في كل مكان تحسباً لأي شيء، وفي صبيحة اليوم التالي، اتصلت بي عائلة مردلية[21] وأخبروني بأنّ محلات الكرد تتعرّض للنهب، فقلت كيف ذلك؟ فأخبروني بأنهم بدأوا بالنهب وكانوا قد وصلوا إلى محل شقيقي، وكان يملك محلاً لصياغة ذهب في شارع الكنائس، فأخبرتهم بأنني قادم، ونصحوني بالعبور بين الحارات كي أستطيع الوصول إليهم، وبالفعل هذا ما حدث، ذهبت إلى شارع الكنائس ووصلت إلى أحد المنازل التي تسكنها عائلة "قادي عيشي" والتي تقع بالقرب من محل أخي، وأراد أصحاب المنزل أن يدخلوني خوفاً من أن أصاب بأي مكروه، وفي هذه الأثناء رأيت من كانوا يحاولون سرقة محل أخي، وحينما توجهت إليهم فوجئت برئيس مفرزة أمن الدولة وأمين الشعبة واقفين في منتصف مفرق شارع الكنائس، وهناك شخص من آل "الحلو" كان يقوم بوضع مادة التي إن تي على أقفال المحال ويقوم بكسرها، وقد كان مواطناً مدنياً وليس من الأمن وهو من عرب مدينة سري كانيه/رأس العين وتحديداً من

[20] تمّ لقاؤه من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة عبر الانترنت بتاريخ 27 شباط/فبراير 2019.
[21] هم مجموعة من الناس يتكلمون لهجة عربية خاصة تسمى المردلية، وأصولهم من مدينة ماردين/تركيا.

عشيرة العدوان، فوصلت إلى محل أخي وكان أحدهم يحاول أن يكسر قاصة الذهب، فبدأت بضربه وأشبعته ضرباً، وأخذت عصا من أحدهم وانهلت عليه بالضرب، حتى أنني بصقت على أمين الشعبة ورئيس مفرزة أمن الدولة، ولم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب مني، ثمّ سمعت أحدهم وهو يقول لي: "أنتم أهل حلبجة، هل نرميكم بالورود" في إشارة منه إلى أنّ الكرد يستحقون القتل، فأشبعته ضرباً مبرحاً وكسرت له يده، ثمّ توجهت إلى منزلي."

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى علم "عبد القادر" بأنّ محل والده المخصص لبيع الأقمشة في مدينة رأس العين/سري كانيه، كان قد تعرّض للحرق هو الآخر، فضلاً عن العديد من المحال التي تعرّضت للسلب والنهب، وما إن وصل "عبد القادر" إلى منزله، حتى رأى عشرات الأشخاص وهم يطوقون منزله، فحاول الاشتباك معهم بواسطة الأيدي إلا أنه سقط أرضاً، فتمّ اقتياده بعدها إلى جهاز أمن الدولة، حيث مكث هناك ثلاثة أيام، تعرّضت خلالها للضرب المبرح، ومن ثمّ تمّ نقله إلى مدينة القامشلي/قامشلو، حيث تابع قائلاً:

"حينما تمّ نقلي إلى مدينة القامشلي، كانوا قد قيدوا يدي وقدمي وعصبوا عيني، وهناك لم أرَ أحداً طيلة ثلاثة أشهر، حيث تمّ وضعي في المنفردة وبقيت أتعرض للتعذيب ثلاث مرات في اليوم، وكانوا في كل مرة يوجهون الشتائم والسباب لي أيضاً، فكانوا يشتمون الخالد ملا مصطفى البارزاني ومن ثمّ أمي وأختي وزوجتي، وبقيت على هذا الحال مدة ستة أشهر، وطوال هذه الفترة كانوا يعصبون عيني، ولم ينزعوها إلا لمرة واحدة فقط، وذلك حين جاؤوا بابني آزاد وعمره 13 سنة وعذبوه أمام عيني، ثمّ نقلوه لاحقاً إلى محافظة دير الزور."

وتابع "عبد القادر" حول مجريات احتجازه في مدينة القامشلي/قامشلو قائلاً:

"كانوا يطعموني الخبز بينما كنت مقيد اليدين، وكانوا يقولون لي: "استعجل، فزوجة زعيمكم الفلاني بانتظاري" أو زوجتك بانتظاري"، وخلال فترة احتجازي جاؤوا عدّة مرات بأطفال من مدينة سري كانيه/ رأس العين، وكانوا بعمر العاشرة تقريباً، وكانوا يجبرونهم على الاعتراف والقول بأنني كنت أدربهم في منطقة جبل عبد العزيز حتى يقومون بتفجيرات وما إلى ذلك، وهؤلاء أنفسهم اعترفوا لي بذلك حين خرجت، وأنا سامحتهم، لأنني كنت أعرف أنهم كانوا مرغمين على قول ذلك، كما أذكر بأنهم كانوا يقومون بتعليقي من قدمي، كما قاموا بصعق أذني اليمنى، وكانوا يوجهون لي الشتائم، ويتساءلون من أين لي بهذه القوة، في حين كنت أقول بأنني جبان بيني وبين نفسي، كما أعتقد بأنهم جعلوني أشرب مادة الأسيد، ما تسبب لي بجلطة، وفي إحدى المرات ظنّوا أنني فارقت الحياة، فجاؤوا بي إلى مدينة سري كانيه/رأس العين، وألقوا بي في شارع بيتنا، وبدأت بعدها بالعلاج."

لم يكن "عبد القادر" وحدة من تعرّض للاحتجاز على أيدي الأجهزة الأمنية السورية، بل كان ابناه الاثنان "آزاد" 13 عاماً، و "ولات" 15 عاماً، قد احتجزا هما أيضاً في مدينة رأس العين/سري كانيه، نتيجة مشاركتهما في حرق "هيئة الشبيبة"، وذكر "عبد القادر" بأنّ ابنه آزاد كان قد احتجز لمدة ثلاثة أشهر في فرع الأمن الجوي، إلى أنّ طلب رئيس الفرع من عناصره أن يأتوا ب "آزاد"، وسمح له بالتواصل مع والدته، وسألها أن تأتي لاستلام ابنها، وتابع "عبد القادر" قائلاً:

"بقيت محتجزاً حوالي ستة أشهر، بينما بقي ابني ولات محتجزاً حوالي الشهرين، وبعد أن أطلق سراحه اضطرت والدته إلى إخفائه في إحدى القرى لأشهر، ورغم إطلاق سراحي، إلا أنّ ذكرى أحد المحتجزين الذين كانوا معي ويدعى "فرهاد" مازالت عالقة في رأسي، فقد كان قد توفي عقب أسبوع واحد من تعذيبه."

الشاهد "عبد القادر محمد علي" على يمين الصورة، مصدر الصورة: الشاهد نفسه.

2. "أحد المُحتجزين فارق الحياة نتيجة التعذيب":

"محمود جميل عبد الحليم" من مواليد مدينة الدرباسية في محافظة الحسكة عام 1961، وكان قد تعرّض للاحتجاز من قبل الأجهزة الأمنية السورية، على خلفية مشاركته في الاحتجاجات التي اندلعت ضدّ الحكومة السورية بتاريخ 12 آذار/مارس 2004، إذ كان قد تعرّض للاحتجاز بتاريخ 8 نيسان/أبريل 2004، من قبل جهاز "أمن الدولة" في مدينة رأس العين/سري كانيه، ونُقل منها إلى مفرزة "أمن الدولة" في مدينة الحسكة، ثمّ إلى السجن المركزي فيها، وبعدها تمّ نقله إلى سجن "صيدنايا العسكري" في دمشق، حيث أمضى فيه (76) يوماً من الاحتجاز، وأخيراً إلى سجن "عدرا المركزي" في العاصمة أيضاً، قبل أن يُفرج عنه بتاريخ 1 نيسان/أبريل 2005.

اعتبر "عبد الحليم" أنّ طريقة احتجازه كانت تعسفية جداً وبثت الرعب في قلوب زوجته وأطفاله الصغار، وتحدّث حول ذلك لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة[22] قائلاً:

[22] تمّ لقاؤه بشكل مباشر من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة وذلك بتاريخ 5 آذار/مارس 2019.

"في تمام الساعة (2:45) فجراً من يوم 8 نيسان/أبريل 2004، أقدم مسلّحون يتبعون لقوات أمن الدولة وقوى "حفظ النظام" على مداهمة منزلي في مدينة رأس العين/سري كانيه، بعد أن كانوا قد حاصروا كافة منافذ الشارع الذي أقطن فيه، إذ رأيت منهم سبعة أشخاص على الأقل داخل المنزل، وكان اثنان منهم ملثمين، وسرعان ما قاموا بتقييد يديّ ووضع العصابة على عينيّ ووضعي في إحدى سياراتهم في الخارج، ثم بدأوا بضربي داخل السيارة، إلى أن وصلنا بعد (15) دقيقة إلى فرع أمن الدولة في المدينة، والذي كان يرأسه آنذاك المدعو "باسل حوكان" "أبو علاء"، وهناك بقيت حتى الصباح أتعرّض للضرب وبشدّة في كافة أنحاء جسمي وأتلقى الشتائم والإهانات، كما أجروا معي تحقيقاً اتُهمت خلاله بتحريض الشباب على التظاهر ضد الحكومة السورية والقيام بإعمال تخريبية وذمّ الرئيس السوري بشار الأسد".

بعد عدة ساعات فقط على احتجازه، وإجراء تحقيق مبدئي معه، قامت قوى أمن الدولة في مدينة رأس العين/سري كانيه، بتحويل "محمود جميل عبد الحليم" إلى مفرزة أمن الدولة في مدينة الحسكة، والتي شهد فيها أحداثاً مروعة بحسب ما روى، حيث أضاف قائلاً:

"في صباح يوم 8 نيسان/أبريل 2004، تمّ تحويلي إلى مفرزة أمن الدولة في الحسكة، إذ نُقلت إلى هناك معصوب العينين مع عدد من المحتجزين الآخرين، وفور وصولنا أجبرونا على خلع ملابسنا، وبدأوا بضربنا بشدّة في كافة أنحاء جسمنا، وبقيت هناك يوماً واحداً فقط، كنت أتعرّض خلاله للتعذيب كل (45) دقيقة، ومن بين طرق التعذيب التي تعرّضت لها، طريقة "طاولة الكي"، وفيها يتمّ ربطك وأنت مستلقٍ بشكل طولي على بطنك بخشبة تشبه طاولة الكي، ثمّ يقومون بضربك في كافة أنحاء جسمك، وفي ذات اليوم أبلغت المفرزة عائلة المحتجز "فرهاد صبري" (29 عاماً) من القامشلي/قامشلو بوفاته، فقد كان قد فقد حياته إثر التعذيب قبل ذلك بيومين، وهو ما أكده الطبيب المحتجز "دورسن اوسكان"، الذي كان قد كشف على الجثة، بالإضافة إلى ذلك، فقد بقيت أسمع في ذلك اليوم صُراخ محتجزات كرديات إثر تعرّضهن للتعذيب وبشدّة في غرف مجاورة بالسجن، بينهن فتاة ثلاثينية تدعى "شيرين" من المالكية/ديريك."

نُقل "محمود عبد الحليم" في اليوم التالي، الموافق 9 نيسان/أبريل 2004 إلى السجن المركزي في مدينة الحسكة، وأمضى هناك خمسة أيام، تخلّلها التحقيق معه مرتين من قبل لجنة الأمن القومي في سوريا، والتي كانت تضم آنذاك "هشام بختيار" و"علي مملوك"، وضباط في الاستخبارات السورية، وبتاريخ 13 نيسان/أبريل 2004، جرى نقله مع عشرات المحتجزين الآخرين إلى سجن صيدنايا العسكري في مدينة دمشق، حيث أمضى هنالك (76) يوماً من الاحتجاز، عاش خلالها أياماً قاسية، حيث تابع قائلاً:

"جرى نقلنا بواسطة سيارات عسكرية من نوع "زيل"، إذ كانت كل سيارة تقلّ نحو (35) محتجزاً، وكانوا قد وضعوا العصابة على أعيننا وربطوا أيدينا إلى الخلف، وطال المسير قرابة 14 ساعة، لذا اعتقد غالبيتنا بأنه ستتم تصفيتنا في نهاية المطاف، إلى أن وصلنا إلى باب سجن صيدنايا، فأنزلونا، ثمّ اقتادونا، وكنا نتلقى الضرب مع كل خطوة، وعلى طرفي الرواق كان هناك سجّانون يحملون أدوات مختلفة يضربوننا بها، وفي كل طابق كانت هناك طرقاً مختلفة للضرب، ففي الطابق الأول كانت اللكمات، وفي الثاني تلقيت الضرب أسفل قدمي "فلقة"، كما وجّهوا لي صفعات قوية على جانبي رأسي، أدت إلى تمزّق غشاء الطبل في أذني، أما في الطابق الثالث تلقيت الضرب بواسطة الكرباج بعد أن زجّوا بي ضمن دولاب جرّار زراعي، وقد بقيت أتلقى التعذيب سبع ساعات متتالية، قبل أن يقتادوني إلى إحدى غرف المحتجزين التي تسمى المهاجع، وكانت الغرفة التي أدخلت إليها مهجع العقوبات في

الطابق الثالث، حيث كانت مربعة بطول ثمانية أمتار وعرض ثمانية أيضاً، وبدون إنارة أبداً، وكان كل مهجع يضم ما بين 35 و 40 محتجزاً."

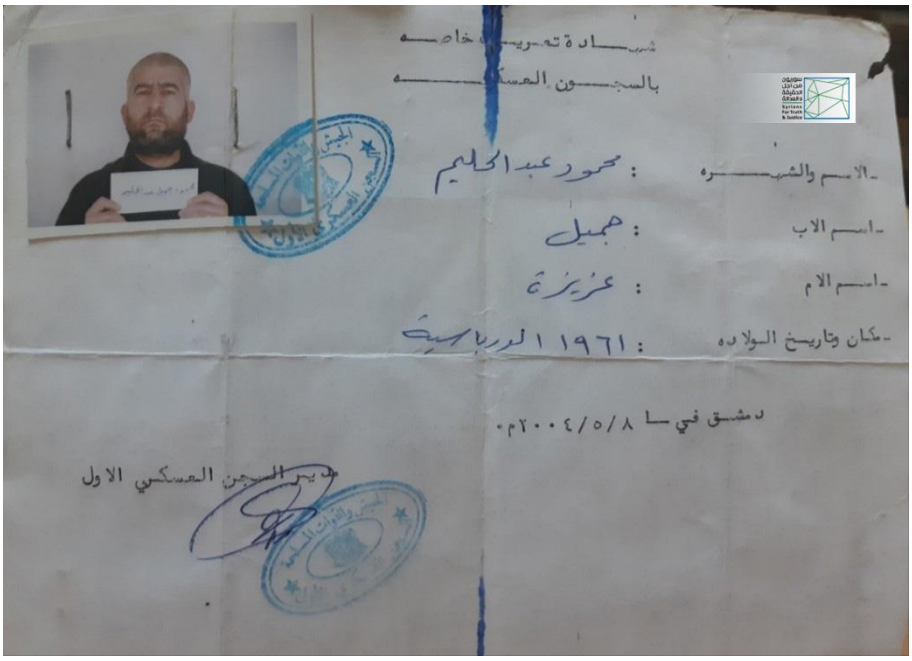

صورة تظهر شهادة تعريف خاصة بالسجون العسكرية، أصدرت للشاهد "محمود جميل عبد الحليم" في سجن صيدنايا العسكري، بتاريخ 8 أيار/مايو 2004، مصدر الصورة: الشاهد "محمود جميل عبد الحليم".

وفقاً ل"عبد الحليم" فإنّ سجن "صيدنايا" لم يكن فيه أي اعتبار لحقوق الإنسان وكرامته، وكان الهدف منه بثّ الرعب في نفوس المحتجزين، وتحطيمهم نفسياً ومعنوياً بطرق عديدة، تطرّق لها قائلاً:

"كانت هنالك ثلاث أوقات مخصّصة للتعذيب يومياً، بعد وجبة الفطور، وبعد الغذاء، وكذلك بعد وجبة العشاء، وفي كل مرة كان الاختيار يقع على خمسة أشخاص من كل مهجع، وأنا مثلاً كنت أتعرض للتعذيب مرة على الأقل يومياً، وذلك باستثناء العقوبات الجماعية، حيث كنا نقف بمحاذاة الحائط ووجهنا إليه، ويتم ضربنا بالتناوب بواسطة الكرباج، بالتزامن مع توجيه الشتائم لذوينا وإهانة الرموز الكردية. وكانت بطانيات السجن ممتلئة بالقمل، وكان الطعام سيئاً وغير كاف، ففي الصباح كنا نحصل على رغيف خبز و3 حبات من الزيتون أو ملعقة من اللبن، وفي الظهيرة كان طعامنا البرغل أو المعكرونة، وكان الغذاء مليئاً بالحصى الصغيرة، أدت إلى كسر أسنان ثلاثة اشخاص على الأقل في كل مهجع، وقد سمحوا لنا بالاستحمام لأول مرة، بعد مضي 18 يوماً على احتجازنا في سجن صيدنايا، إذ كنا نجبر على أن نتعرّى ونقف مدة نصف ساعة نتضرّع خلالها البرد ونتلقى التعذيب حتى يحين دورنا للاستحمام، خلال مدة لا تزيد عن عشرة دقائق، بعدها يجمعوننا في الرواق عراة لمدة نصف ساعة أخرى تفتح فيها النوافذ كلها، وكان كثيرون من المحتجزين يصابون بنزلات البرد أو الإسهال، وثمّ بعدها كنا نتعرض للضرب بشكل جماعي حتى نصل إلى المهجع، وكان يتم تعذيبنا بشكل فردي داخل المهاجع تارةً، وفي غرف خاصة بالتعذيب تارةً أخرى، وقد استمرّ تعذيبنا إلى أن بثت قناة "الجزيرة" القطرية مقابلة تلفزيونية للرئيس بشار

الأسد، بتاريخ 1 أيار/مايو 2004، قال خلالها بأنهم تأكدوا من عدم وجود أيادٍ خفية خارجية في الأحداث، وأنّ الكرد جزء من النسيج الوطني السوري، حيث أنهم أوقفوا بعد بثّ تلك المقابلة تعذيبنا وتوجيه الشتائم والإهانات بحقنا."

وأضاف الشاهد أنّ هذه المقابلة تلاها إطلاق مبادرة طوعية واسعة انبرى فيها عدد من المحامين الكرد والعرب بالدفاع عن كافة المحتجزين الكرد عقب زيارة السجون والحصول على توكيل منهم.

بعد (76) يوماً من الاحتجاز في سجن صيدنايا، تمّ تحويل "محمود عبد الحليم" وعشرات من المحتجزين الآخرين إلى سجن عدرا المركزي في العاصمة دمشق أيضاً، وقد بقي محتجزاً هناك (278) يوماً، اختصرها قائلاً:

"بتاريخ 27 حزيران/يونيو 2004، تمّ نقلنا إلى سجن عدرا المركزي، وكنا نحو (237) محتجزاً، وقد أدخلونا جميعاً إلى جناح "المخدرات" فيه، والذي يحتضن تجار ومتعاطي هذه المواد، إذ اضطررنا إلى البقاء معهم في نفس الغرف داخل السجن، ثمّ وبتاريخ 17 تموز/يوليو 2004 تمّ الإفراج عن أكثر من 100 محتجز بينهم 9 أطفال، إثر صدور عفو رئاسي بمناسبة الذكرى السنوية لاستلام الرئيس بشار الأسد للسلطة، في حين بقيت ونحو 130 محتجزاً آخراً، لم يشملنا قرار العفو، حيث بقينا في الجناح ذاته حتى منتصف أيلول/سبتمبر 2004، إذ حدثت مشاكل بيننا والسجناء المتّهمين بتجارة وتعاطي المخدرات، فنظمنا احتجاج جماعي لعدّة ساعات حتى يتم نقلنا من ذاك الجناح، وبالفعل فقد تمّ نقلنا على إثرها إلى جناح آخر."

صورة تظهر الشاهد "محمود جميل عبد الحليم" في الوسط، برفقة محتجزين آخرين في سجن عدرا المركزي في العاصمة السورية دمشق، وقد التقطت هذه الصورة بتاريخ 20 كانون الأول/ديسمبر 2004، مصدر الصورة: الشاهد "محمود جميل عبد الحليم".

أفرجت السلطات الأمنية السورية عن "محمود عبد الحليم" بعد مضي (359) يوماً على احتجازه، وذلك بعد صدور عفو رئاسي شامل بتاريخ 31 آذار/مارس 2005، والذي دفع وزارة الدفاع السورية للتخلي عن الدعوى التي كانت قد

رفعتها ضد كرد سوريين بتهمة "التحريض على التظاهر والقيام بإعمال تخريبية وذم الرئيس بشار الأسد"، حيث تحدّث "عبد الحليم" في هذا الصدد قائلاً:

"بقينا محتجزين في سجن عدرا المركزي إلى أن تمّ إطلاق سراحنا في ساعات الفجر الأولى من يوم 1 نيسان/أبريل 2005 ، وكان ذلك مفرحاً جداً بعد احتجاز دام نحو عام كامل، فلا شيء يضاهي حصول الإنسان على حريته".

وأنهى الشاهد حديثه قائلاً:

"لم تكن عائلتي تعرف أي شيء عني حتى منتصف أيار/مايو 2004، إذ علموا مكان احتجازي عن طريق المحامين المتطوعين الذين انبروا للدفاع عن المحتجزين. لاحقاً سُمح لذوينا بزيارتنا مرة واحدة اسبوعياً، فزارتني زوجتي وابنتي التي كانت تبلغ من العمر (7) أعوام في السجن، كما سُمح لنا لاحقاً في سجن عدرا المركزي بالتواصل مع ذوينا عبر الهاتف الأرضي."

وسبق ل "عبد الحليم" بأن تعرّض للاحتجاز من قبل الأجهزة الأمنية السورية مرتين، كانت أولها في عام 1992، حيث استمر احتجازه (21) يوماً، والأخرى عام 1996، إذ أمضى خلالها الشاهد أربعة سنوات من الاحتجاز على خلفية نشاطه المدني في سوريا، على حد وصفه.

3. "لا زلت أعاني من آلامٍ شديدة إثر تعذيبي في سجن صيدنايا العسكري":

"بهزاد عبد الحليم" (31 عاماً) من مواليد مدينة رأس العين/سري كانيه، كان هو الآخر قد تعرّض للاحتجاز من قبل الأجهزة الأمنية السورية، عندما كان يبلغ من العمر (16) عاماً، وذلك بتهمة "محاولة تخريب المنشآت والممتلكات العامة" والمشاركة في الاحتجاجات التي اندلعت ضدّ الحكومة السورية، على خلفية أحداث ملعب القامشلي بتاريخ 12 آذار/مارس 2004، وقد بقي "بهزاد" محتجزاً لمدة تزيد عن أربعة أشهر، فقد كان تعرّض للاحتجاز بتاريخ 14 آذار/مارس2004، من قبل جهاز "أمن الدولة" في مدينة رأس العين/سري كانيه، ونُقل منها إلى جهاز أمن الدولة في مدينة القامشلي/قامشلو، ثمّ إلى مفرزة أمن الدولة في مدينة الحسكة، ثمّ السجن المركزي فيها، ولاحقاً تمّ نقله إلى سجن "صيدنايا العسكري" في مدينة دمشق، حيث أمضى فيه نحو شهرين ونصف من الاحتجاز، ومن ثمّ جرى نقله إلى سجن "عدرا المركزي" في العاصمة أيضاً، ومجدداً إلى السجن المركزي في مدينة الحسكة، قبل أن يُفرج عنه بتاريخ 17 تموز/يوليو 2004، حيث تحدّث لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة[23] في هذا الصدد قائلاً:

"في تمام الساعة (4:00) مساءً من يوم 14 آذار/مارس 2004، كنت برفقة اثنين من أصدقائي "خليل خوارزي" "17 عاماً" و"أحمد حاج شكري" 18 عاماً، وكنا نتمشى سوياً على طريق الكورنيش الجنوبي في مدينة رأس العين/سري كانيه، وقد كان عمري آنذاك (16) عاماً، ولكن عندما اقتربنا من المركز الثقافي في المدينة تعرّضت لنا مجموعة من أعضاء حزب البعث العربي، إذ يبدو أنهم كانوا يعقدون اجتماعاً هناك، وقاموا بتوجيه الشتائم لنا ولكافّة الشعب الكردي، ثمّ سرعان ما تطور الأمر إلى نشوب عراك بالأيدي بيننا وبينهم، فتفوقوا علينا وقاموا بضربنا لأنهم كانوا أكثر عدداً، ثم سلمونا إلى جهاز أمن الدولة في المدينة، وقد وجهوا إلينا تهمة الهجوم على المركز الثقافي، وفي القسم تمّ التحقيق معنا، كما بقينا نتلقى الضرب والتعذيب حتى حلول المساء، إذ تمّ طرحي على ظهري ضمن إطار خلفي لجرّار زراعي، وجرى ضربي أسفل قدماي وهي ما تسمى بطريقة "الدولاب"، كما جرى ضربي بواسطة السوط على كافّة أنحاء جسمي."

[23] تمّ لقاؤه بشكل مباشر من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة بتاريخ 5 آذار/مارس 2019.

أمضى "بهزاد" الأيام الـ (20) الأولى من احتجازه متنقلاً بين فروع "أمن الدولة" في محافظة الحسكة، والسجن المركزي فيها، وقد تحدث عن تلك الأيام قائلاً:

"في تمام الساعة (10:00) مساءَ من ذات اليوم الذي تمّ احتجازي فيه، تم تحويلنا إلى فرع أمن الدولة في مدينة القامشلي/قامشلو، حيث تمّ التحقيق معي واتهامي بالمشاركة في مظاهرات معارضة للحكومة، ومحاولة تخريب المنشآت والممتلكات العامة، وقد نفيت هذه التهم وأكدت لهم أنه لا صلة لي بها، فقاموا بتعذيبي بواسطة "الدولاب" وتعريضي إلى صعقات كهربائية، وذلك لإجباري على الاعتراف بالتهم الموجهة، لكنني لم أعترف بشيء لا صلة لي به، وبقيت محتجزاً هناك (15) يوماً، تمّ التحقيق معي خلالها عدة مرات، وتعذيبي بشكل يومي، قبل أن يتم نقلي في نهاية آذار/مارس 2004، إلى مفرزة أمن الدولة في مدينة الحسكة، إذ أمضيت فيها يوماً واحداً فقط ضمن غرفة منفردة تحت الأرض، وتمّ تحويلي بعدها إلى السجن المركزي في الحسكة، وبقيت فيه ثلاثة أيام دون أن يتم تعذيبي أو التحقيق معي، وبعدها جرى نقلي إلى سجن صيدنايا العسكري في العاصمة دمشق."

بقي "بهزاد" نحو شهرين ونصف الشهر محتجزاً في سجن صيدنايا العسكري في العاصمة السورية دمشق، حيث اعتبره أسوأ السجون التي احتجز فيها، وتابع قائلاً في هذا الصدد:

"في مطلع شهر نيسان/أبريل 2004، تمّ نقلي مع محتجزين آخرين من سجن الحسكة المركزي إلى سجن صيدنايا العسكري في دمشق، وذلك بواسطة سيارة عسكرية من نوع "زيل"، بعد عصب أعيننا وربط يدينا، وتلقينا ضرباً شديداً في أروقة السجن حينما وصلنا، إذ تمّ اقتيادي إلى غرفة تدعى المهجع، وكانت تضمّ نحو 50 محتجزاً آخرين، وقد كانت ضيقة مربعة الشكل يبلغ طولها أربعة أمتار، وعرضها كذلك، وكان الوضع الصحي متدهوراً فقد كان القمل والجرب منتشران بين المحتجزين، وكان الطعام عبارة عن رغيف من الخبز وثلاث حبات زيتون صباحاً، وطبق من حساء العدس أو المعكرونة على الغذاء، كما أنه لم يكن يسمح للمحتجزين بالاستحمام إلا لمرة واحدة كل أسبوعين، ولمدة (10) دقائق فقط، يتلقى الضرب وهو عاري قبلها وبعدها."

استرجع "بهزاد" طرق التعذيب التي مورست بحقّه في سجن صيدنايا العسكري، والتي مازالت تراود مخيلته حتى يومنا هذا، إذ تحدّث في هذا الصدد قائلاً:

" خلال فترة احتجازي في سجن صيدنايا، كان يتم تعذيبي لمرة كل يومين أو ثلاثة أيام، لكنّ التعذيب لم يكن يطاق، فقد كان يتم صعقي بواسطة الكرسي الكهربائي، وكان يتم قلع أظافري ورميي في حوض مليء بالملح حتى أتألم أكثر، بالإضافة إلى ضربي بشدّة وبشكل دائم في كافة أنحاء جسمي، ولا سيّما ظهري الذي لازال يؤلمني حتى يومنا هذا، وقد أصبت بنزيف في المعدة، قاموا على إثرها بعرضي على طبيب كان محتجزاً هو الآخر، ولم أحصل على العلاج مطلقاً."

بعد مضي شهرين ونصف على احتجاز "بهزاد" في سجن صيدنايا العسكري، تمّ نقله في الثلث الأخير من شهر حزيران/يونيو 2004، إلى سجن عدرا المركزي في العاصمة أيضاً، وذلك بعد أن تم تقديمه إلى محكمة عسكرية وأخرى مدنية، وتحدّث حول هذا الأمر قائلاً:

"بقيت في سجن عدرا أربعة أو خمسة أيام فقط، قضيتها في جناح المخدرات الذي يضم تجار ومتعاطي هذه المواد، لكن هناك لم أتلقى أي نوع من التعذيب أو المعاملة السيئة من قبل القائمين على السجن، قبل أن يتم تحويلي إلى محطة احتجازي الأخيرة".

بعد مضي (126) يوماً على احتجازه، أفرجت الأجهزة الأمنية السورية عن "بهزاد"، عقب صدور عفو رئاسي بمناسبة ذكرى تولي "بشار الأسد" للسلطة آنذاك، وتابع "بهزاد" حديثه قائلاً:

"في الثلث الأخير من شهر حزيران/يونيو 2004، نُقلت مجدداً إلى السجن المركزي في مدينة الحسكة، وأمضيت فيه نحو ثلاثة أسابيع دون أن أتلقى أي تعذيب أو إهانة من قبل القائمين على السجن، كما سُمح لعائلتي بزيارتي لمرة واحدة أسبوعياً، وقد قاموا بزيارتي ثلاث مرات، حتى أطلق سراحي بتاريخ 17 تموز/يوليو 2004، حيث اكتشفت لاحقاً بأنني أعاني من انقراص في فقرات الظهر نتيجة التعذيب، ورغم الخضوع للعلاج، إلا أنني ما زلت أعاني من آلام شديدة في ظهري رغم مرور (15) عاماً على حادثة اعتقالي."

صورة خاصة بسوريون من أجل الحقيقة والعدالة تظهر الشاهد "بهزاد عبد الحليم"، وقد التقطت هذه الصورة بتاريخ 5 آذار/مارس 2019.

4. أروقة الألم في سجن صيدنايا العسكري:

وحال "بهزاد عبد الحليم"، كحال "محمود العمو" من مواليد مدينة الدرباسية في محافظة الحسكة 75 عاماً، فقد كان قد تعرّض هو الآخر للاحتجاز من قبل جهاز أمن الدولة في مدينة رأس العين/سري كانيه، وتحديداً بتاريخ 14 آذار/مارس 2004، وذلك إثر مشاركته في الاحتجاجات التي اندلعت ضدّ الحكومة السورية بتاريخ 12 آذار/مارس 2004، حيث بقي محتجزاً لمدة تزيد عن العام، وتنقّل خلال هذه الفترة بين عدّة سجون، ومنها السجن المركزي في مدينة الحسكة وسجن عدرا المركزي وسجن صيدنايا العسكري، قبل أن يُفرج عنه بتاريخ 1 نيسان/أبريل 2005، وكان "العمو" آنذاك يشغل منصب عضو اللجنة السياسية في حزب يكيتي الكردي في سوريا، والذي كان يترأسه آنذاك "عبد الباقي يوسف"، وقد تحدّث لسوريون من أجل الحقيقة والعدالة[24] في هذا الصدد قائلاً:

[24] تمّ لقاؤه بشكل مباشر من قبل الباحث الميداني لدى سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، وذلك بتاريخ 5 آذار/مارس 2019.

"في حدود الساعة (8:00) مساءً من يوم 14 آذار/مارس 2004، طرق باب منزلي ثلاثة عناصر من فرع "أمن الدولة" في مدينة رأس العين/سري كانيه، وأخبروني بأنّ رئيس الفرع "باسل حوكان" يطلبني، فذهبت معهم بواسطة سيارة تابعة للفرع، وهناك قام رئيس الفرع بالتحقيق معي بحضور ضابط في الجيش السوري برتبة نقيب لم أعرف أسمه، اتهموني بتنظيم وقيادة تظاهرات ضدّ الحكومة، فأخبرتهم بأنني شاركت في التظاهرات السلمية تنديداً بمقتل 36 شخصاً كردياً وجرح 150 آخرين على يد عناصر من قوات النظام، كما أكدت لهم أنني دعوت إلى مظاهرة سلمية فقط، فطلب الضابط الذي كان حاضراً إعادتي إلى المنزل، وفعلاً هذا ما حصل، لكن بعدها بعدّة ساعات، أقدمت قوات تابعة لمفرزة أمن الدولة في الحسكة على احتجازي مجدداً."

صورة خاصة بسوريون من أجل الحقيقة والعدالة تظهر الشاهد "محمود العمو" في جهة اليمين منها، وقد التقطت هذه الصورة بتاريخ 5 آذار/مارس 2019.

وأفاد "العمو" بأنّ الأجهزة الأمنية السورية قامت باحتجازه دون أن تكشف له عن هويتها، أو توضح الوجهة التي سيتم اقتياده إليها، وتابع حديثه قائلاً:

"في تمام الساعة (3:00) فجراً من يوم 15 آذار/مارس 2004، أقدم مسلّحون يتبعون لمفرزة أمن الدولة في الحسكة على مداهمة منزلي بالحي الشرقي في مدينة رأس العين/سري كانيه، بعد أن كانوا قد حاصروا كافة منافذ الشارع الذي أقطن فيه، إذ رأيت منهم ستة أشخاص على الأقل داخل المنزل، سرعان ما قاموا بتقييد يديّ واقتيادي معصوب العينين إلى إحدى سياراتهم في الخارج، والتي انطلقت ولم تتوقف إلا بعد ساعة وربع تقريباً، كنا قد وصلنا حينها إلى السجن المركزي في الحسكة، وقد عرفت ذلك لاحقاً، وبقيت محتجزاً فيه (28) يوماً، تمّ التحقيق معي خلالها مرتين من قبل لجنة الأمن القومي في سوريا، وتمّ اتهامي بتنظيم وقيادة مظاهرات ضدّ الحكومة، وحضّ المتظاهرين على تخريب المنشآت والممتلكات العامة، بالإضافة إلى ذمّ الرئيس السوري "بشار الأسد"، كما

تمّ تعذيبي في ذاك السجن لمرات عدة، وكانت من إحدى طرق التعذيب هناك، وضعي مستلقياً على ظهري ضمن الإطار الخلفي لجرّار زراعي، لمنعي من الحركة ومن ثمّ ضربي بشدة أسفل قدمي."

بعد احتجاز دام (28) يوماً في السجن المركزي بمدينة الحسكة، تمّ تحويل "محمود العمو" إلى سجن "صيدنايا" العسكري في العاصمة دمشق، والذي أمضى فيه (76) يوماً، تحدّث عنها قائلاً:

"في تمام الساعة (10:00) مساء من يوم 13 نيسان/أبريل 2004، تمّ نقلي برفقة عشرات المحتجزين الآخرين، إلى سجن صيدنايا العسكري في دمشق، وتم ذلك بواسطة سيارات عسكرية من نوع "زيل"، إذ كانت كل سيارة تقلّ نحو (35) محتجزاً، وعندما وصلنا إلى السجن، أنزلونا، ثمّ اقتادونا معصوبي الأعين إلى جناح العقوبات فيه، وبقينا نتلّقى الضرب مع كل خطوة إلى أن وصلنا إلى الجناح، فعلى طرفي الرواق كان هناك عناصر يحملون عصي وسيطان يضربوننا بها، كما قاموا بحلاقة شعر رأسي، وقد بقيت أتلقى التعذيب ست ساعات متتالية، قبل أن يقتادوني إلى إحدى غرف المحتجزين التي تسمى المهجع، وكانت الغرفة التي دخلت إليها في الطابق الثالث، تسمى مهجع العقوبات، وكانت مربعة الشكل، بطول ثمانية أمتار وعرض ثمانية أيضاً، وبدون إنارة أبداً، وكان كل مهجع يضمّ بين 35 و 40 محتجزاً".

وفقاً ل "العمو" فإنّ القائمين على سجن "صيدنايا" يمارسون طرقاً بشعة في تعذيب المحتجزين وإذلالهم، دون أيّ اعتبار لحقوق الإنسان وكرامته، وتابع قائلاً:

"كنت أتلّقى التعذيب كل يوم أو يومين، بواسطة الكرسي الكهربائي وبساط الريح، ناهيك عن قلع الأظافر وغيرها من الطرق الأخرى، التي تدفع المحتجز لتمني الموت لشدّة الألم، كما كانت هنالك عقوبات جماعية بطرق مختلفة، يتلّقى خلالها معظم المحتجزين في مهجع واحد الضرب بالعصي والكرباج، إضافة إلى شتم ذوي المحتجزين، ومحاولة إذلالهم أمام غيرهم من السجناء، وقد كانت الظروف الصحية ضمن السجن سيئة للغاية، فقد كان القمل منتشراً بكثرة ضمن الأسرّة والأغطية، وكان الطعام قليلاً وغير مطهي جيداً."

وأشار "العمو" إلى أنّ عدداً من المحامين العرب والكرد أطلقوا في منتصف شهر أيار/مايو 2004، مبادرة طوعية للدفاع عن كافة المحتجزين الكرد، عقب زيارة السجون والحصول على توكيل منهم، وتحدّث في هذا الصدد قائلاً:

"في منتصف أيار/مايو 2004، قال القائمون على السجن أنّ هنالك محامون سيدافعون عنا، وقد كان ذلك صحيح، وكان بينهم مصطفى أوسو وعبد العزيز أيو ودلشا أيو، وحسن برو، وعبد السلام أحمد، وبعد توقيعنا على توكيل المحامين، قلّ التعذيب ضمن السجن بشكل تدريجي، كما سُمح لنا بالتواصل مع ذوينا لمرة واحدة لنبلغهم عن مكاننا وإمكانية زيارتنا، إذ قامت زوجتي بزيارتي إضافة إلى عدد من أقربائي عدّة مرات في السجن، وكان موعد الزيارة مرة واحدة أسبوعياً."

بعد (76) يوماً من احتجازه في سجن صيدنايا، تمّ نقل "محمود العمو" إلى سجن عدرا المركزي في العاصمة دمشق أيضاً، وبقي محتجزاً هناك (278) يوماً، اختصرها قائلاً:

"بتاريخ 27 حزيران/يونيو 2004، تمّ نقلنا إلى سجن عدرا المركزي، كنا نحو (237) محتجزاً، وقد أدخلونا جميعاً إلى جناح "المخدرات" فيه، والذي يحتضن تجار ومتعاطي هذه المواد، لكن كانت الظروف والمعاملة فيه أفضل من سابقه، كما لم نكن نتعرض لأيّ تعذيب أو إهانة هناك، وبتاريخ 17 تموز/يوليو 2004 تمّ الإفراج عن أكثر من 100

محتجز، عقب صدور عفو رئاسي بمناسبة الذكرى السنوية لاستلام الرئيس بشار الأسد للسلطة، في حين بقيت ونحو 130 محتجزاً لم يشملنا قرار العفو."

أفرجت السلطات الأمنية السورية عن "محمود العمو" بعد مضي (383) يوماً على احتجازه، وذلك بعد صدور عفو رئاسي شامل بتاريخ 31 آذار/مارس 2005، والذي دفع وزارة الدفاع السورية للتخلي عن الدعوى التي كانت قد رفعتها ضد كرد سوريين، بتهمة "التحريض على التظاهر والقيام بأعمال تخريبية وذمّ الرئيس بشار الأسد"، حيث تحدث "العمو" في هذا الصدد قائلاً:

"بقينا محتجزين في سجن عدرا المركزي إلى أن تمّ إطلاق سراحنا في ساعات الفجر الأولى من يوم 1 نيسان/أبريل 2005، وكان ذلك مفرحاً جداً بعد احتجاز دام عام كامل و(18) يوماً".

وذكر "العمو" بأنه سبق له التعرض للاحتجاز من قبل الأجهزة الأمنية السورية، في عام 1992 على خلفية نشاطه السياسي، وكان قد أمضى من الاحتجاز حينها قرابة شهرين.

سوريون من أجل الحقيقة والعدالة

Syrians For Truth & Justice

عن منظمة سوريون من أجل الحقيقة والعدالة:

هي منظمة سورية مستقلة، غير حكومية وغير ربحية، تضم العديد من المدافعات والمدافعين عن حقوق الإنسان من السوريات والسوريين على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم، كما تضم في فريقها المؤسس أكاديميات أكاديميين من جنسيات أخرى.

تعمل المنظمة من أجل سوريا/سورية التي يتمتع فيها جميع المواطنات والمواطنين بالكرامة والعدالة وحقوق الإنسان المتساوية.

www.stj-sy.com
syriaSTJ
@STJ_SyriaArabic
Syrians for Truth & Justice
editor@stj-sy.org